أبو الفرج الأصبهاني

قيس بن ذريح

مكتبة صادر
بيروت

قيس بن ذريح

•

وضـاح اليمن

•

قطوف الأغاني

نهج جديد في ترتيب كتاب « الاغاني » الشهير لأبي الفرج الاصبهاني ، لم يُحذَف منه إلاّ الاسنادات والتعريف بالألحان والقصص والأشعار المنافية للآداب .

وقف على شرحه وتحقيقه

الاستاذ كرم البستاني

أبو الفرج الأصبهاني

قيس بن ذريح

مكتبة صادر
بيروت

الحقوق محفوظة لمكتبة صادر

مطبعة المناهل : ٤١ — ١٩٥٠

اخبار قيس بن ذريح

نسبه

هو ، فيما ذكر الكلبيّ والقَحْذَميّ وغيرهما ، قيسُ بن ذَرِيح بن سُنَّةَ بن حُذافةَ بن عامر بن مُضَر بن نِزار . وذكر أبو شُرَاعة القَيْسيّ أنه قيس بن ذَريح بن الحُباب بن سُنَّة ؛ وسائر النسب متّفق. واحتَجّ بقول قيس :

فإنْ يكُ تَهْيامي بلُبْنى غوايةً ،
فقد ، يا ذَرِيحُ بنَ الحُبَابِ ، غوَيْتُ

نسب امه

وذكر القَحْذَميّ أن أمه بنتُ سُنّة بن الذاهِل بن عامر الخُزاعيّ ، وهذا هو الصحيح ؛ وأنه كان له خال يقال له عمرو بن سُنّة شاعر ، وهو الذي يقول :

ضربوا الفيـــلَ بالمغمَّسِ ، حتى
ظَلَّ يجبو كأنه محمـوم[1]

وفيه يقول قيس :

أُنبئتُ أنَّ لحـالي هَجْمةً حُبُساً ،
كأنّهنَّ بجَنْبِ المشْعَرِ النُّصُلُ[2]

قد كنتَ فيما مضى قِدْماً تجـاورُنا ،
لا ناقـةٌ لك ترعاهـــا ولا جملُ

ما ضَرَّ خالِيَ عمراً ، لو تقَسَّمها
بعضُ الحياض ، وجَمُّ البئر مُحْتفِلُ[3]

قيس رضيع الحسين

أخبرني الحسن بن عليّ عن هشام بن الكلبيّ قال : حدّثني عـــدد من الكنانيّين :

أن قيس بن ذَريح كان رضيعَ الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما ، أرضعتْه أمّ قَيْس .

---

١ المغمس : موضع قرب مكة .

٢ الهجمة من الابل : ما بين السبعين الى المائة . الحبس : الموقوفة لوجه الله . المشعرَ : هو المشعر الحرام بالمزدلفة ، ويقال له قزح . النصل ، واحدهـــا نصيل : حجر طويل رقيق كهيئة الصفيحة المحددة ، يشبه به رأس البعير وخرطومه إذا أسرع في سيره .

٣ جم الماء : معظمه . محتفل : ملآن . يريد : ما على خـالي أن نصيب من ماله وهو غني مكثر .

عشقه لليلى

أخبرني بخبر قيس ولُبْنى امرأتهِ جماعةٌ من مشايخنا في قِصَص متّصلة ومنقطعة وأخبار منثورة ومنظومة ، قالوا جميعاً :

كان منزل قومه في ظاهر المدينة ، وكان هو وأبوه من حاضِرة المدينة . وذكر خالد بن كلثوم أن منزله كان بسَرِف[1] ؛ واحتجّ بقوله :

الحمد لله قد أمستْ مُجاوِرةً
أهلَ العَقيق ، وأمسَيْنا على سَرِفِ

قالوا : فمرّ قيس لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خزاعة ، فوقف على خَيْمة منها والحيّ خُلُوف[2] والخيمةُ خيمة لُبْنى بنت الحُبَاب الكَعْبيّة ، فاستسقى ماءً ، فسقتْه وخرجتْ اليه بـه ، وكانت امرأةً مَديدةَ القامةِ شَهْلاءَ[3] حُلْوةَ المنظر والكلام . فلما رآها وقعتْ في نفسه ، وشرب الماء . فقالت له : أتنزل فتتبرّدَ عندنا ؟

قال : نعم .

فنزل بهم . وجاء أبوها فنحر له وأكرمه . فانصرف قيس وفي قلبه من لُبْنى حَرّ لا يَطفأ ، فجعل ينطِق بالشعر فيها حتى شاع ورُوي .

ثم أتاها يوماً آخر وقد اشتدّ وجدُه بها ، فسلّم فظهرتْ له وردّت

---

١ سرف : موضع على ستة أميال من مكة .

٢ خلوف : غيب .

٣ المديدة : الطويلة القامة . الشهلاء : التي يخالط سواد عينيها زرقة .

سلامَه وتحفّتْ به[1] ؛ فشكا اليها ما يَجِدُ بها وما يَلقى من حبّها ، وشكت اليه مثلَ ذلك فأطالتْ ، وعرف كلُّ واحد منهما ما له عند صاحبه . فانصرف الى أبيه وأعلمه حالَه وسأله أن يزوّجه إياها . فأبى عليه وقال : يا بنيّ ، عليك بإحدى بناتِ عمّك فهنّ أحقُّ بك .

وكان ذَرِيحٌ كثيرَ المال موسراً ، فأحبّ ألاّ يخرجَ ابنه الى غربية . فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه أبوه به . فأتى أمّه فشكا ذلك اليها واستعان بها على أبيه ، فلم يجد عندها ما يحبّ .

لجوءه الى الحسين

فأتى الحسينَ بن عليّ بن أبي طالب وابنَ أبي عَتيق فشكا اليهما ما به وما ردّ عليه أبوه . فقال له الحسين : أنا أكفِيك . فمشى معه الى أبي لُبْنى . فلما بَصُر به أعظمه ووثَب اليه ، وقال له : يابنَ رسول الله ، ما جاء بك ؟ ألا بعثتَ إليّ فأتيتُك !

قال : إن الذي جئتُ فيه يُوجب قصدَك وقد جئتك خاطباً ابنتَك لُبْنى لقيس بن ذَرِيح .

فقال : يابنَ رسول الله ، ما كنّا لنَعْصِيَ لك أمراً وما بنا عن الفتى رغبةٌ ، ولكن أحَبُّ الأمرِ الينا أن يخطُبَها ذريح أبوه علينا وأن يكون ذلك عن أمره ، فإنّا نخاف إن لم يَسْعَ أبوه في هذا أن يكون عاراً وسُبّةً علينا .

---

١ تحفت به : بالغت في اكرامه .

فأتى الحسينُ رضي الله عنه ذَرِيحاً وقومَه وهم مجتمعون ، فقاموا اليه إعظاماً له وقالوا له مثلَ قول الخُزاعِيّين . فقال لذريح : أقسمتُ عليك إلاّ خطبتَ لُبنى لابنك قيس .

قال : السمعَ والطاعةَ لأمرك .

فخرج معه في وجوه من قومه حتى أتَوا لُبْنى فخطبها ذَرِيحٌ على ابنه الى أبيها فزوّجه إياها ، وزُفّت اليه بعد ذلك . فأقامت معه مدّة لا يُنكر أحدٌ من صاحبه شيئاً .

وكان أبرّ الناس بأمّه ، فألهتْه لُبْنى وعكوفُه عليها عن بعض ذلك ، فوجَدت[1] أمُّه في نفسها وقالت : لقد شغلتْ هذه المرأة ابني عن برّي ؛ ولم ترَ للكلام في ذلك موضعاً حتى مرض مرضاً شديداً .

غيرة امه من لبنى

فلما بَرَأ من علّته قالت أمه لأبيه : لقد خَشِيتُ أن يموت قيسٌ وما يتركُ خَلَفاً وقد حُرِم الولدَ من هـــذه المرأة ، وأنت ذو مال فيصيرُ مالك الى الكلالة[2] ، فزوِّجْه بغيرها لعلّ الله أن يرزقه ولداً ؛ وألحّتْ عليه في ذلك .

---

١ وجدت : حزنت .

٢ الكلالة : ان لا يكون النسب لحاً ، اي لاصقاً .

ابوه يغريه بطلاقها

فأمهلَ قيساً حتى إذا اجتمع قومه دعاه فقال : يا قيس ، إنك اعتللتَ هذه العلة فخفتُ عليك ولا ولد لك ولا لي سواك . وهذه المرأة ليست بوَلود ، فتزوَّجْ إحدى بناتِ عمّك لعلّ الله أن يَهَب لك ولداً تَقَرُّ به عينُك وأعينُنا .

فقال قيس : لست متزوّجاً غيرها أبداً .

فقال له أبوه : فإن في مالي سَعَةً فتَسَرَّ بالاماء .

قال : ولا أسوءُها بشيءٍ أبداً والله .

قال أبوه : فإني أُقسِم عليك إلاّ طلّقْتَها .

فأبى وقال : الموتُ والله عليَّ أسهل من ذلك ، ولكني اخيِّرك خَصْلةً من ثلاث خصال .

قال : وما هي ؟

قال : تتزوَّجُ أنت فلعلَّ الله أن يرزُقَك ولداً غيري .

قال : فما فيَّ فَضْلة لذلك .

قال : فدَعْني أرتحلْ عنك بأهلي واصنَعْ ما كنتَ صانعاً لو متُّ في علّتي هذه .

قال : ولا هذه .

قال : فأدَعُ لُبْنى عندك وأرتحِلُ عنك فلعلي أسلوها فإني ما أُحبّ بعدَ ان تكونَ نفسي طيّبة أنها في خيالي .

قال : لا أرضى أو تطلّقها .

وحلَف لا يكُنُّه سقفُ بيت أبداً حتى يطلّق لُبنى، فكان يخرُجُ فيَقِفُ في حرّ الشمس، ويجيء قيسٌ فيقِفُ الى جانبه فيُظِلّه بردائه ويَصْلى هو بحرّ الشمس حتى يَفيء الفيءُ فينصرفَ عنه، ويدخل الى لُبنى فيعانقها وتعانقه ويبكي وتبكي معه وتقول له: يا قيس، لا تُطِعْ أباك فتَهلِكَ وتُهْلِكَني.

فيقول: ما كنت لأطيعَ أحداً فيك أبداً.

فيقال: إنه مكث كذلك سنة.

وقال خالد بن كلثوم: ذكر ابنُ عائشة أنه أقام على ذلك أربعينَ يوماً ثم طلّقها. وهذا ليس بصحيح.

يطلقها ويندم

اخبرني محمد بن خَلَف وَكيع عن ليث بن عمرو:

أنه سمع قيس بن ذريح يقول لزيد بن سليمان: هَجرني أبواي في لُبنى عشرَ سنين أستأذِنُ عليهما فيَردّاني حتى طلّقتُها.

قال ابن جُرَيج: واخبرت أن عبد الله بن صَفْوان الطويل لَقِي ذَرِيحاً أبا قيس فقال له: ما حمَلك على أن فرّقتَ بينهما؟ أما علمتَ أن عمر بن الخطاب قال: ما أُبالي أفرّقتُ بينهما أو مشيتُ اليهما بالسيف؟

وروى هذا الحديثَ ابراهيمُ بن يَسار الرّماديّ عن عمرو بن دينار

قال : قال الحسين بن عليّ رضي الله عنهما لذريح بن سُنَّة أبي قيس : أحَلٌّ لكَ أن فرّقتَ بين قيس ولُبنى؟ أما إني سمعتُ عمرَ بن الخطاب يقول : ما أبالي أفرّقتُ بين الرجل وامرأته ، أو مشيتُ اليهما بالسيف .

استطير عقله

قالوا : فلما بانت لُبنى بطلاقه إياها وفُرغ من الكلام ، لم يلبَثْ حتى استُطِير عقلُه وذُهِب به ولحقه مثلُ الجنون . وتذكّر لُبنى وحالها معه فأسِف وجعل يبكي ويَنْشِج[1] أحرَّ نشيج .

وبلغها الخبرُ فأرسلتْ الى ابيها ليحتملها ، وقيل : بل أقامت حتى انقضت عدّتُها وقيسٌ يدخل عليها . فأقبل أبوها بهَوْدج على ناقة وبإبل تحملُ أثاثها . فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها فقال : وَيْحَكِ ! ما دهاني فيكم ؟

رحيل لبنى

فقالت : لا تسألني وسَلْ لُبْنى .

فذهب ليُلِمَّ بخِبائها فيسألها ، فمنعه قومُها . فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له : ما لك وَيْحَك تسأل كأنك جاهلٌ أو تتجاهل ! هذه لُبنى ترتحل الليلةَ أو غداً .

---

١ ينشج : يغص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب .

فسقط مغشيّاً عليه لا يَعْقِل ثم أفاق وهو يقول :

وإني لَمُفْنٍ دمعَ عينيَ بالبكا ،
حِذَارَ الذي قد كان أو هو كائنُ

وقالوا غداً ، أو بعد ذاك بليلة ،
فراقُ حبيبٍ لم يَبِنْ ، وهو بائنُ

وما كنتُ أخشى أن تكون منيّتي
بكفَّيْكِ ، إلاّ أنّ ما حان حائنُ

قال : وقال قيس :

يقولون لُبْنى فتنةٌ ، كنتَ قبلَها
بخير ، فلا تَنْدَمْ عليها وطلّقِ

فطاوعتُ أعدائي ، وعاصيتُ ناصحي ،
وأقررْتُ عينَ الشامت المُتخلّقِ [1]

وَددْتُ ، وبيتِ الله ، أني عَصَيْتُهم ،
وحُمِّلتُ ، في رِضوانِها ، كلَّ مُوبِقِ [2]

وكُلِّفتُ خوضَ البحر ، والبحر زاخرٌ ،
أبيتُ على أثباج موج مُغَرّقِ [3]

---

١ المتخلق : الذي يتكلف ما ليس في خلقه .

٢ الموبق : المهلك .

٣ اثباج ، واحدها ثبج : معظم الشيء .

كأني أرى الناسَ المحبّين ، بعدها ،
عُصارةَ ماء الحنظلِ المُتفلّقِ

فتُنكرُ عيني بعدها كلَّ منظَرٍ ،
ويكره سمعِي بعدَها كلَّ منطِقِ

غراب البين

قال : وسقط غُرابٌ قريباً منه فجعل يَنْعِق مراراً ، فتطيّر منه وقال :

لقد نادى الغرابُ ببَيْن لُبْنى ،
فطار القلب من حَذَرِ الغرابِ

وقال : غداً تَباعَدُ دارُ لُبنى ،
وتَنأى بعد ودٍّ واقترابِ

فقلتُ : تَعِستَ وَيْحَك من غرابٍ ،
وكان ، الدهرَ ، سعيُك في تَبابِ[1]

منعه الالمام بها

وقال أيضاً وقد منعه قومُه من الالمام بها :

---

١ التباب : الخسارة ، والهلاك .

ألا يا غرابَ البَينِ ، وَيحكَ ، نبِّني
بعلمِـك في لُبْنى ، وأنتَ خبـيرُ

فإن أنتَ لم تُخْـبِرْ بما قد علمتَه ،
فلا طِرْتَ ، إلاّ والجَناح كسيرُ

ودُرْتَ بأعداء ، حبيبُك فيهمُ ،
كما قـــد تراني بالحبيب أدورُ

قالوا : وقال أيضاً وقد أُدْخِلتْ هودجَها ورحلتْ وهي تبـكي ويتبعُها :

ألا يا غرابَ البَينِ اهل أنتَ مُخبري
بخيرٍ ، كما خَبَّرتَ بالنأي والشرِّ ؟

وقلتَ : كذاكَ الدهرُ ما زالَ فاجعاً ؛
صدقتَ ! وهل شيءٌ بباقٍ على الدهرِ ؟

يقبل اثر قدمها

قالوا : فلما ارتحلَ قومُها اتَّبَعها مَليّاً ، ثم علم أن أباها سيمنَعه من المسير معَها ، فوقَفَ ينظرُ اليهم ويَبكي حتى غابوا عن عينِـه فكَرّ راجعاً .

ونظر الى أثرِ خُفِّ بعيرِهـا فأكبَّ عليه يقبّله . ورجـع يقبّل

موضعَ مجلسها وأثرَ قَدَمِها . فلِيمَ على ذلك وعنّفه قومُه على تقبيلِ التراب ؛ فقال :

وما أحببتُ أرضَكُم ، ولكن
أُقَبِّل إثرَ مَن وَطِىء التُّرابا

لقد لاقيتُ ، من كلَفِي بلُبْنى ،
بَلاءً ما أُسيغُ به الشَّرابا

إذا نادى المنادي باسمِ لُبنى ،
عَيِيتُ ، فما أُطيقُ له جَوابا

وقال وقد نظر الى آثارها :

ألا يا رَبْعَ لُبْنَى ما تقولُ ؟
أبِنْ لي اليومَ ما فعلَ الحُلولُ[1]

فلو أن الديارَ تُجيب صَبّاً ،
لردّ جوابيَ الرّبعُ المُحيلُ[2]

ولو أنّي قدَرْتُ غداةَ قالتْ :
غدَرتَ ، وماءُ مُقْلتِها يَسيلُ

نحرتُ النفسَ ، حين سمعتُ منها
مقالتَها ، وذاك لها قليلُ

---

١ الحلول ، واحدها حال : النازل في المكان .

٢ المحيل : المتغير .

سَفَيْتُ غليلَ نفسي من فعالي ،
ولم أَغبُرْ بلا عقلٍ أَجُول[1]

وتمام هذه الأبيات :

كأنّي والهٌ بفراق لُبْنَى ،
تَهيمُ بفَقدِ واحدِها ، ثَكُول[2]

ألا يا قلبُ وَيْحَاكَ كُن جَليداً ،
فقد رحَلتْ وفاتَ بها الذَّميل[3]

فإنك لا تُطيق رجوعَ لُبْنَى ،
اذا رحَلتْ ، وإن كثُرَ العَويلُ

وكم قد عِشْتَ كم ، بالقرب منها ،
ولكنّ الفِراقَ هو السبيلُ

فصبراً ! كلُّ مؤتَلِفَيْنِ ، يوماً
من الأيام ، عيشُهما يزولُ

قال : فلما جَنّ عليه[4] الليل وانفرد وأوى الى مضجعه ، لم يأخذه

---

١ لم اغبر : لم ابق .

٢ الوالهة : المرأة فرق بينها وبين ولدها ، فهي حزينة ذاهبة العقل . تهيم : تذهب على وجهها لا تدري اين تتوجه . ثكول : التي مات عنها ولدها .

٣ الجليد : الصبور . الذميل : السير اللين .

٤ جن عليه : ستره واظلم عليه .

القَرارُ وجعل يَتململُ فيه تَململَ السليمِ ، ثم وثب حتى أتى موضعَ خِبائها ، فجعلَ يتمرّغ فيه ويبكي ويقول :

بتُّ ، والهمُّ يا لُبَيْنَى ضَجيعي ،
وجرَتْ ، مُذ نأيتِ عنّي ، دموعي

وتنفّستُ ، إذ ذكرتُك ، حتى
زالت اليومَ عن فؤادي ضلوعي

أتناساكِ كي يُرِيغَ فؤادي ،
ثم يشتدُّ عند ذاك وَلُوعي[1]

يا لُبَيْنَى فَدَتْكِ نفسي وأهلي ؛
هل لدهرٍ مضى لنا من رجوعِ ؟

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع عن عجوز يقال لها حَمّادةُ بنت أبي مُسافِر قالت :

جاورتُ آلَ ذَرِيح بقَطيع لي فيه الرّائمة وذات البَوّ والحائلُ والمُتْبِع[2] .

قالت : فكان قيسُ بن ذَرِيح الى شَرَفٍ[3] في ذلك القطيع ينظر

---

١ يريغ : يحيد .

٢ الرائمة : العاطفة على غير ولدها . البو : جلد الحوار يحشى تماماً او تبناً او غيرهما فيقرب من ام الفصيل فتعطف عليه فتدر . الحائل : الناقة التي لا تحمل . المتبع : التي يتبعها ولدها .

٣ الشرف : المكان العالي .

الى ما يَلْقَيْن فيتعجّبُ. فقلّما لبث حتى عزمَ عليه أبوه بطلاق لُبنى فكاد يموت، ثم آلى أبوه لئن أقامتْ لا يُساكِن قيساً. فظعَنتْ فقال:

أيا كبداً طارتْ صُدوعاً نوافذاً ،
ويا حَسْرَتا ماذا تَغَلْغَلَ في القلبِ[1] !

فأقْسِمُ ما عُمْشُ العيون ، شوارف ،
روائمُ بَوٍّ ، حائماتٌ على سَقْبِ[2]

تشمَّمْنَه لو يَسْتَطِعن ارتشفْنَه ،
اذا سُفْنَه يَزْددنَ نَكْباً على نَكبِ[3]

رَئِمنَ ، فما تنْحاش منهن شارفٌ ،
وحالَفْنَ حِبساً في المُحول وفي الجَدْبِ[4]

بأوْجَدَ مني ، يومَ وَلَّتْ حُمُولُها ،
وقد طلعتْ أولى الرِّكاب من النَّقْبِ[5]

وكلُّ مُلِمّاتِ الزمانِ وجدتُها ،
سوى فُرْقةِ الأحباب، هيّنةَ الخَطْبِ

---

١ الصدوع ، واحدها صدع : الشق .

٢ العمش ، واحدتها عمشاء : التي ضعف بصرها مع سيلان دمعها في بعض الاوقات . الشوارف ، واحدتها شارفة : الناقة المسنة . السقب : ولد الناقة .

٣ ساف الشيء : شمه . النكب : عرج البعير .

٤ رئمن : عطفن . تنحاش : تجتمع .

٥ أوجد : أحزن . النقب : الطريق في الجبل .

قال[1] إسحاق بن الفَضْل الهاشميّ : لم يقل الناس في هذا المعنى مثل قول قيس بن ذريح :

وكلُّ مُصيباتِ الزمان وجدتُها ،
سوى فُرْقة الأحباب ، هيّنةَ الخَطْبِ

يعتل على ابيه بالصيد

خرج قيسٌ في فِتْية من قومه واعتلّ على أبيه بالصيد ، فأتى بلادَ لُبْنى ، فجعل يتوقّعُ أن يراها أو يرى من يُرسِل اليها . فاشتغل الفتيانُ بالصيد ؛ فلما قضَوْا وطَرَهم منه رجعوا اليه وهو واقف ، فقالوا له : قد عرفنا ما أردتَ بإخراجنا معك وأنك لم تُرِدِ الصيدَ وانما أردتَ لقاءَ لبنى ، وقد تعذّر عليك فانصرِف الآن .

فقال :

وما حائماتٌ حُمْنَ يوماً وليلةً
على الماء ، يَغْشَين العَصِيَّ حَوَانِ[2]

عَوافيَ ، لا يَصْدُرْن عنه لِوجهةٍ ،
ولا هنَّ من بَرْدِ الحياض دَوَانِ[3]

---

١ الحديث لابن عائشة .

٢ يغشين : يأتين . العصي : العاصي ، اراد ما يعتاص عليهن الوصول اليه من الماء .

٣ العوافي ، واحدتها عافية : التي ترد الماء .

يَرَيْنَ حَبابَ الماء ، والموتُ دونه ،
فهنّ لأصوات السّقاة رَوانِ[1]

بأجهدَ منّي حرّ شوقٍ ولوعةٍ
عليكِ ، ولكنّ العدوّ عَداني[2]

خليليّ ! إني ميّتٌ ، او مُكلّمٌ
لُبَيْنى بسرّي ، فامضيا وذَراني[3]

أنَلْ حاجتي وَحْدي، ويا رُبّ حاجةٍ
قضيتُ على هَوْلٍ وخوفِ جَنانِ[4]

فإنّ أحقّ الناسِ ألاّ تُجاوِزا ،
وتَطّرِحا من لو يشاء شفاني[5]

ومن قادني للموت ، حتى اذا صفَتْ
مَشاربُه السُمّ الذُعافَ سقاني

قال : فأقاموا معه حتى لقيَها ، فقالت له : يا هذا ، انك متعرّضٌ لنفسك وفاضحي .

---

١ روان ، واحدتها رانية : ناظرة ، محدقة .
٢ عداني : شغلني .
٣ ذراني : اتركاني .
٤ الجنان : القلب .
٥ تجاوزا : تتركا .

فقال لها :

صدَعْتِ القلبَ ، ثم ذرَرْتِ فيه
هواكِ ، فلِيمَ ، فالتأم الفُطور[1]

تغلغلَ حيثُ لم يبلغ شرابٌ ،
ولا حزنٌ ، ولم يبلغ سرورُ

المخزومي وشعر قيس

حدّثني[2] أبي قال : أنشدتُ أبا السائب المخزوميّ قولَ قيس :

صدعتِ القلبَ ، ثم ذررتِ فيه
هواكِ ، فليمَ ، فالتأمَ الفطور

فصاح بجاريةٍ له سِنديّةٍ تُسمَّى زُبْدة ، فقال: أيْ زبدةُ عجِّلي.

فقالت : أنا أعجِنُ .

فقال : وَيحَكِ ! تعالَيْ ودَعي العجينَ .

فجاءت فقال لي : أنشِدْ بيتَيْ قيس .

فأعدتُهما .

فقال لها : يا زُبْدة ، أحسنَ قيس وإلاّ فأنتِ حرّة ! ارجعي الآن الى عجينك أدرِكيه لا يَبرُدْ .

---

١ ذررت : رششت . ليم ، مجهول لام : وبخ . التأم الجرح : انضم . الفطور: الشقوق، واحدها فطر ، بفتح الفاء .

٢ الحديث لأبي الوردان .

يقرع نفسه

قالوا : وجعل قيس يعاتب نفسه في طاعته أباه في طلاقه لُبنى ويقول : فألاّ رحلتُ بها عن بلده فلم أرَ ما يفعل ولم يَرَني ! فكان اذا فقدني أقلع عمّا يفعله ، واذا فقدتُه لم أتحرّج من فعله ! وما كان عليّ لو اعتزلتُه وأقمت في حيّها أو في بعض بَوادي العرب ، أو عَصَيْته فلم أُطِعْه ! هذه جنايتي على نفسي فلا لومَ على أحد ! وهأنذا ميّتٌ مما فعلته ، فمن يردُّ روحي إليَّ ! وهل لي سبيلٌ الى لُبنى بعد الطلاق ؟ !

وكلّما قرّع نفسه وأنّبها بلونٍ من التقريع والتأنيب بكى أحرّ بكاء وألصق خدّه بالأرض ووضعه على آثارها ثم قال :

وَيْلي وعَوْلي ، وما لي حين تُفلتُني ،
من بعدِ ما أحرزتْ كفّي بها الظَّفَرا[1]

قد قال قلبي لطَرْفي ، وهو يعذِلُه :
هذا جزاؤك مني ، فاكدُمِ الحجرا[2]

قد كنتُ أنهاك عنها ، لو تُطاوِعُني ،
فاصبِرْ فما لك فيها أجرُ من صبرا

---

١ العول : العويل .

٢ اكدم : عض .

قالوا : وقال أيضاً :

بانت لُبَيْنى ، فأنت اليوم متبولُ ،
والرأي عندك بعد الحزمِ مخبولُ[1]

أستودع الله لُبنى ، إذ تفارقني
بالرغم مني ، وقولُ الشيخ مفعولُ[2]

وقد أَراني بلبنى حقَّ مُقتنِعٍ ،
والشملُ مجتمعٌ والحبل موصولُ

قال خالد بن كُلثوم : وقال :

ألا ليتَ لبنى في خلاءٍ تزورني
فأشكو اليها لوعتي ، ثم ترجِعُ

صحا كلُّ ذي لبٍّ وكلُّ متيَّم ،
وقلبي بلبنى ما حَييتُ مروَّعُ[3]

فيا مَنْ لقلبٍ ما يُفيق من الهوى ؛
ويا مَنْ لعينٍ بالصَّبابة تَدْمعُ !

---

١ المتبول : السقيم . المخبول : الفاسد .

٢ أراد بالشيخ اباه .

٣ المروع : الذي خامره الخوف .

قالوا : وقال في ليلته تلك :

قد قلتُ للقلب لا لُبناكَ فاعترِفِ ،
واقضِ اللُّبانةَ ، ما قضَّيْتَ ، وانصرفِ [1]

قد كنتُ أحلف جَهْداً لا أُفارقها ؛
أفٍّ لكثرة ذاك القيل والحَلِفِ

حتى تكنَّفني الواشون ، فافتُلِتتْ ؛
لا تأمَنَنْ أبداً من غشّ مُكتَنِفِ [2]

هيهاتَ هيهاتَ قد أمستْ مُجاورةً
أهلَ العَقيق ، وأمسينا على سَرِفِ

قال : وسَرِف على ستة أميال من مكة . والعَقيق : وادٍ باليمامة —

حَيّ يمانُونَ ، والبَطْحاءُ منزلُنا ؛
هذا لعَمْرُك شملٌ غيرُ مؤتَلِفِ

شبه لبنى

قالوا : فلمّا أصبح خرجَ متوجّهاً نحوَ الطريق الذي سلكتْه يتنسَّم روائحها ، فسنَحتْ له ظبيةٌ فقصدها فهربتْ منه فقال :

---

١ اللبانة : حاجة النفس .

٢ تكنفني : احاط بي . افتلتت : اخذت بغتة .

ألا يا شِبْهَ لبنى ! لا تُراعِي ،
ولا تتيمَّمِي قُلَلَ القِلاعِ [1]

وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

فوا كبدِي ! وعاودني رُدَاعي ،
وكان فراقُ لُبْنى كالخداعِ [2]

تكنَّفني الوُشاةُ ، فأزعجوني ؛
فيا لله للواشي المُطاعِ !

فأصبحتُ ، الغَداةَ ، ألومُ نفسي
على شيءٍ ، وليس بمُستطاعِ

كمغبونٍ يَعَضُّ على يديه ،
تَبيَّنَ غَبْنَه بعد البِياعِ

بدار مَضيعةٍ تركتْك لُبنى ؛
كذاك الحَيْنُ يُهْدَى للمُضاعِ [3]

وقد عِشْنا نَلَذُّ العيشَ حِيناً ،
لوَ انَّ الدهرَ للانسانِ داعِ

---

١ القلل ، واحدتها قلة : الرأس ، والجبل . القلاع ، واحدتها قلعة : الحصن الممتنع في الجبل
٢ الرداع : وجع الجسد كله .
٣ الحين : المحنة والهلاك .

ولكنَّ الجميعَ الى افتراقٍ ؛
وأسبابُ الحُتوفِ لها دواعِ

فتيات الحي ولبنى

بعثتْ أمُّ قيس بن ذَريح بفتياتٍ من قومه اليه يَعِبْنَ اليه لُبنى ويَعِبْنَه بجَزَعه وبكائه ويتعرَّضْنَ لوصاله ، فأتيْنه فاجتمعْنَ حواليه وجعلن يمازحْنَه ويَعِبنَ لُبنى عنده ويعيِّرنَه ما يفعله . فلما أطلْنَ أقبل عليهن وقال :

يَقَرُّ بعيني قربُها ، ويَزيدُني
بها كَلَفاً مَنْ كان عندي يَعيبُها

وكم قائلٍ قد قال تُبْ فعصَيتُه ؛
وتلك ، لعمري ، توبةٌ لا أتوبها

فيا نفسُ صبراً لستِ والله، فاعلمي،
بأوَّلِ نفسٍ غاب عنها حبيبُها

فانصرفنَ عنه الى أمّه فأيأسْنَها من سَلوته . واجتمع اليه النِّسوة فأطَلْن الجلوس عنده ومحادثتَه وهو ساهٍ عنهنّ، ثم نادى : يا لُبنى ! فقلن له : ما لك وَيحَك !

فقال : خَدِرتْ رجلي ، ويقال : إن دعاء الانسان باسم أحبّ الناس اليه يُذهِب عنه خَدَر الرِّجل فناديتُها لذلك. فقمن عنه، وقال:

اذا خدِرتْ رجلي تذكرتُ مَن لها،
فناديتُ لُبنى باسمِها ، ودعوتُ

دعوتُ التي ، لو أن نفسي تُطيعني
لفارقتُها من حبِّها ، وقَضَيتُ

بَرَتْ نَبلَها للصيدِ لبنى، ورَيَّشتْ،
ورَيَّشتُ أُخرى مثلَها وبَرَيْتُ[1]

فلمّا رمتني أقصدتْني بسهمِها ؛
وأخطأتُها بالسَّهمِ حين رَمَيتُ[2]

وفارقتُ لبنى خَلَّةً ، فكأنني
قُرِنْتُ الى العَيُّوقِ ثم هَوَيتُ[3]

فيا ليتَ أنّي مُتُّ قبل فراقها ؛
وهل تَرجِعَنْ فوتَ القضيّة لَيتُ؟

---

١ ريشت : ألصقت ريشاً على سهمها .

٢ أقصدتني : أصابتني .

٣ العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة ، يتلو الثريا لا يتقدمها .

فصرتُ وشيخي كالذي عثَرتْ بـه
غَداةَ الوَغى، بين العداةِ ، كُمَيتُ[1]

فقامتْ ، ولم تُضْرَرْ هناك ، سَويّةً ،
وفارسُها تحت السنابكِ مَيْتُ[2]

فإن يكُ تَهيامي بلُبنى غَوايةً ،
فقد، يا ذَريحُ بنَ الحُباب، غَوَيتُ

فلا أنت ما أمَّلتَ فيَّ رأيتَه ؛
ولا أنا لبنى والحياةَ حَوَيْتُ

فوَطِّنْ لهُلْكي منك نفساً ، فإنني
كأنك بي قد ، يا ذَريحُ ، قضَيْتُ

عواده في مرضه

وقال خالد بن كلثوم : مرِض قيس ، فسأل أبوه فتيات الحي أن يَعُدْنه ويحدّثنه لعله أن يتسلّى او يعلَق بعضهن ، ففعلن ذلك .

ودخل اليه طبيبٌ ليداويَه والفتياتُ معه ، فلما اجتمعن عنده جعَلن يحادثنه وأطلنَ السؤالَ عن سبب علّته ، فقال : .

---

١ الكميت : صفة للفرس المحذوفة ، وهي التي يكون لونها بين الاسود والاحمر .
٢ السنابك : حوافر الخيل ، واحدها سنبك .

عِيدَ قيسٌ من حُبِّ لُبنى ، ولُبنى
داءُ قيسٍ ، والحبُّ داءٌ شديدُ

واذا عادني العوائدُ يوماً ،
قالت العينُ : لا أرى مَن اريدُ

ليتَ لبنى تَعودني ، ثم أقضي ،
إنها لا تَعودُ فيمن يَعودُ

وَيحَ قيسٍ ، لقد تضمَّن منها
داءَ خَبْلٍ ، فالقلبُ منه عَميدُ[1]

قالوا : فقال له الطبيب : منذ كم هذه العلة ؟ ومنذ كم وجَدتَ بهذه المرأة ما وجدتَ ؟

فقال :

تعلَّق رُوحي روحَها قبل خَلْقِنا ،
ومن بعدِما كنّا نِطافاً وفي المهدِ

فزاد كما زِدنا ، فأصبح نامياً ،
وليس اذا مُتْنا بمُنْصَرِم العهدِ

ولكنه باقٍ على كلِّ حادث ،
وزائرُنا في ظُلمة القبر واللَّحْدِ

---

١ الخبل : فساد العقل . العميد : الذي هده العشق .

قالوا : فقال له الطبيب : إن مما يُسْلِيك عنها أن تتذكر ما فيها من المساوىء والمعايب وما تَعافُه النفس من أقذار بني آدم ؛ فإن النفس تنبو[1] حينئذ وتسلو ويخفّ ما بها .

فقال :

إذا عِبتُها شبَّهتُها البدرَ طالعاً ؛
وحَسْبُكَ من عيبٍ لها شَبَهُ البدرِ

لقد فُضِّلتْ لُبنى على الناس مثلما ،
على ألفِ شهرٍ ، فُضِّلتْ ليلةُ القدرِ

اذا ما مشتْ شبراً من الأرض أرجَفتْ
من البُهْر ، حتى ما تزيدُ على شبرِ[2]

لها كفَلٌ يَرْتَجُّ منها اذا مشتْ ،
ومتنٌ كغصنِ البانِ مُضْطَمِرُ الحَصْرِ[3]

قالوا : ودخل أبوه وهو يخاطب الطبيبَ بهذه المخاطبة ، فأنَّبه ولامه وقال له : يا بنيّ اللهَ اللهَ في نفسِك ! فإنك ميّت إن دمتَ على هذا ! فقال :

---

١ تنبو : تتجافى وتتباعد .

٢ ارجفت : اعيت ، ارتعدت . البهر : انقطاع النفس من الاعياء .

٣ الكفل : المؤخرة .

وفي عُرْوةَ العُذريّ، إن متُّ، أُسوةٌ،
وعمرو بن عَجْلانَ الذي قتلتْ هندُ[1]

وبي مثلُ ما ماتا بـه ، غيرَ أنني
إلى أجَـلٍ لم يأتِني وقتُـه بعدُ

هل الحبُّ إلا عَبْرةٌ بعدَ زفرةٍ ،
وحَرٌّ على الأحشاءِ ليسَ له بَرْدُ

وفَيْضُ دموعٍ تَستهلُّ ، إذا بدا
لنا عَلمٌ ، من أرضكم ، لم يكن يبدو

ابو السائب وشعر قيس

حدّثني[2] إسماعيلُ بن أبي أُوَيس قال :
جلستُ أنا وأبو السائب في النبّالين، فأنشدني قولَ قيس بن ذَريح :

عبِـدَ قيسٌ من حبِّ لبنى ، ولبنى
داءُ قيسٍ ، والحبّ داءٌ شديـدُ

ليتَ لبْنى تعودني ، ثم أقضِـي ؛
إنهـا لا تعودُ فيمـن يعودُ

---

١ عروة بن حزام : صاحب عفراء . عمرو بن العجلان ، وقيل بل هو عبد الله : طلق زوجته هنداً وندم فمات اسفاً عليها .
٢ الحديث للزبير .

قال : فأنشدته أنا لقيس :

تعلَّق رُوحِي رُوحَها قبلَ خلقِنا ،
ومن بعدِ ما كنّا نِطافاً وفي المهدِ

فزاد كما زِدنا ، وأصبح نامياً ،
وليس إذا مُتْنا بمنتَقِضِ العهدِ

ولكنّه باقٍ على كل حادثٍ ،
وزائرُنا في ظلمة القبرِ واللَّحْدِ

فحلف لا يزال يقوم ويقعد حتى يرويَها . فدخل رُقاقَ النبّالين وجعلتُ أرَدِّدها عليه ويقوم ويقعد حتى رواها .

رجع الخبر الى سياقته .

يتزوج ولا يسلو

وقال خالد بن جمَل : فلمّا طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بأن يزوِّجه امرأةً جميلة فلعلّه ان يسلو بها عن لبنى . فدعاه الى ذلك فأباه وقال :

لقد خِفتُ ألا تَقْنَع النفسُ ، بعدَها ،
بشيءٍ من الدنيا ، وإن كان مَقْنَعا[1]

---

١ المقنع : ما يقنع ويرضى به .

وأزجُر عنها النفس ، إذ حِيلَ دونَها ،
وتـأبى اليهـا النفسُ إلا تَطلُّعـا

فأعلمهم أبوه بمـا ردَّ عليه . قالوا : فمُرْه بالمسير في أحيـاء العرب والنزول عليهم ، فلعلَّ عينه أن تقع على امرأةٍ تُعجبه .

فأقسم عليه أبوه ان يفعـل . فسار حتى نزل بحيٍّ من فَزارة ، فرأى جاريةً حسناءَ قد حسَرتْ برقُعَ خَزٍّ عن وجهها وهي كالبدر ليلة تِمِّه ، فقال لها : ما اسمُك يا جارية ؟

قالت : لُبْنى .

فسقط على وجهه مغشيّاً عليه ، فنضَحتْ على وجهه ماء وارتاعت لما عراه ، ثم قالت : إن لم يكن هذا قيسَ بن ذريح إنه لمجنون !

فأفاق فنَسبَتْه فانتسب . فقالت : قد علمت انك قيس ، ولكن نشَدتُك بالله وبحقِّ لُبنى إلاَّ أصبتَ من طعامنا .

وقدَّمت اليه طعامـاً ، فأصاب منه بإصبعه . وركب ، فأتى على أثره أخٌ لها كان غائباً ، فرأى مُناخ ناقته ، فسألهم عنه فأخبروه ، فركب حتى ردَّه الى منزله ، وحلف عليه ليُقيمنَّ عنده شهراً .

فقال له : لقد شَقَقْتَ عليَّ ، ولكنّي سأتبع هواك .

والفَزاريُّ يزدادُ إعجابـاً بحديثه وعقله وروايته ، فعرض عليـه الصِّهْرَ . فقال له : يا هذا ان فيـك لرغبةً ، ولكنّي في شغـل لا يُنتفع بي معه .

فلم يزل يعاوده والحيُّ يلومونه ويقولون له : قد خشينا أن يصير علينا فعلُك سُبَّة .

فقال : دعوني ، ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام .

فلم يزل بـه حتى أجابه وعقد الصِّهرَ بينه وبينه على أخته المسمـاة لُبنى ، وقال له : أنا أسوق عنك صداقها .

فقال : أنا والله يا أخي أكثر قومي مالاً ، فما حاجتك الى تكلُّف هذا ؟ أنا سائر الى قومي وسائق اليها المَهْر .

ففعل وأعلم أباه الذي كان منه ، فسَرَّه وساق المهرَ عنه . ورجع الى الفَزاريّين حتى أُدخلت عليه زوجته ، فلم يَرَوْهُ هَشَّ إليهـا ولا دنا منها ولا خاطبها بحرفٍ ولا نظر إليها . وأقام على ذلك أياماً كثيرة . ثم أعلمهم أنه يريد الخروج الى قومه أياماً ، فأذِنوا له في ذلك ، فمضى لوجهه الى المدينة .

وكان له صديق من الأنصار بها ؛ فأتاه فأعلمه الأنصاريُّ أن خبر تزويجه بلغ لبنى فغمَّها وقالت : إنه لغَدّار ! ولقـد كنت أمتنع من إجابة قومي الى التزويج فأنا الآن أُجيبهم .

وقد كان أبوها شكا قيساً الى معاوية وأعلمه تعرُّضَه لها بعد الطلاق . فكتب الى مروانَ بن الحكم يُهدِّد دمَه إن تعرَّض لها ، وأمر أباهـا أن يزوّجها رجـلاً يُعرف بخالد بن حِلِّزة من بني عبد الله بن غَطَفان — ويقال : بل أمرَه بتزويجها رجلاً من آل كثير بن الصَّلْت الكِنديّ حليفِ قريش — فزوّجها أبوها منه .

قال : فجعل نساءُ الحيّ يقلن ليلةَ زِفافها :

لَبَيْنى ، زوجُها أصبحَ
لا حَرٌّ بواديــهِ

له فضلٌ على الناسِ ،
بما باتت تُناجيــه

وقيسٌ ميّتٌ حيّ ،
صريعٌ في بَواكيــه

فــلا يُبعِــدُه الله ،
وبُعْداً لنَواعيــه

قال : فجزِع قيس جزعاً شديداً وجعل ينْشِج أحرَّ نشيج ويبكي أحرَّ بكاء . ثم ركب من فَوْره حتى أتى محلَّة قومها ، فناداه النساء : ما تصنع الآن هاهنا ! قد نُقِلتْ لبنى الى زوجها ! وجعل الفتيانُ يعارضونه بهذه المقالةِ وما أشْبَهها وهو لا يُجيبهم حتى أتى موضعَ خبائِها فنزل عن راحلته وجعل يتمعك[1] في موضعها ويُمرِّغ خدَّه على ترابها ويبكي أحرَّ بكاء . ثم قال :

الى الله أشكو فَقْدَ لُبنى ، كما شكا ،
الى الله فقدَ الوالدَيْنِ ، يتيمُ

---

١ يتمعك : يتمرغ .

يتيمٌ جفاه الأقربون ، فجسمُه
نحيلٌ ، وعهدُ الوالدَيْنِ قديمُ

بكت دارُهم من نأيهم ، فتهلّلتْ
دموعي ، فأيّ الجازِعَيْنِ ألومُ

أمُستعبِراً يبكي من الشوق والهوى ،
أمَ آخرَ يبكي شَجْوَه ويَهيمُ ؟

وتمام هذه الأبيات ، وليست فيها صنعة ، قوله :

تهيّضني ، من حبّ لُبنى ، علائقٌ ،
وأصنافُ حبٍّ هَوْلُهُنّ عظيمُ[1]

ومن يتعلّقْ حبّ لبنى فؤادُه
يَمُتْ ، أو يَعِشْ ، ما عاش ، وهو كليمُ[2]

فإني ، وإن أجمعتُ عنكِ تجلُّداً ،
على العهد ، فيما بيننا ، لمُقيمُ

وإنّ زماناً ، شتّتَ الشملَ ، بيننا
وبينكم ، فيه العِدَا ، لمَشُومُ

---

١ التهيض : انكسار العظم ، وقد ورد هذا الفعل لازماً ، وجعل هنا متعدياً

٢ الكليم : الجريح .

أفي الحقّ هذا أنّ قلبكِ فارغٌ ،
صحيح ، وقلبي في هواكِ سَقيمُ ؟

وقد قيل : إن هذه الأبيات ليست لقيس وإنما خُلطت بشعره ، ولكنّها في هذه الرواية منسوبة اليه .

قال : وقال أيضاً في رحيل لبنى عن وطنها وانتقالها الى زوجها بالمدينة وهو مقيم في حيّها :

بانت لُبَيْنى ، فهاج القلبَ مَنْ بانا ،
وكان ما وعدتْ مَطْلاً وَلَيّانا[1]

وأَخْلفتْكَ مُنىً قد كنتَ تأمُلها ،
فأصبح القلبُ بعدَ البينِ حيرانا

الله يدري ، وما يدري به أحدٌ ،
ماذا أُجَمْجِم من ذكراكِ أحيانا[2]

يا أكملَ الناسِ من قَرْنٍ الى قدمٍ ؛
وأحسنَ الناس ذا ثوبٍ وعُرْيانا[3]

---

١ الليان ، مصدر لواه دينه : مطله .

٢ اجمجم ، مضارع جمجم الكلام : لم يبينه .

٣ القرن : الذؤابة ، وخصلة الشعر .

وتمام هذه القصيدة :

لا بارك اللهُ فيمن كان يحسَبُكم ،
إلا على العهدِ ، حتى كان ما كانا

قد زارني طَيْفُكم ليلاً ، فأرَّقني
فبتُّ للشوق أُذري الدمعَ تَهْتانا

إن تَصْرِمي الحبلَ ، أو تُمْسِي مُفارقةً ،
فالدهرُ يُحدِثُ للانسانِ ألوانا

وما أرى مثلَكم في الناس من بَشَرٍ ،
فقد رأيتُ به حَيّاً ونِسْوانا

معاوية يهدر دمه

وقال ابن قُتَيبة في خبره عن الهَيْثم بن عَدِيّ : ان أبا لبنى شخَص الى معاوية فشكا اليه قيساً وتعرُّضَه لابنته بعد طلاقه إياها . فكتب معاوية الى مروانَ أو سعيدِ بن العاص يُهْدِر دمَه إن أَلَمّ بها وأن يشتدّ في ذلك . فكتب مروان أو سعيد في ذلك الى صاحب الماء الذي ينزله أبو لُبْنى كتاباً وكيداً[1] .

---

١ الوكيد : الشديد الموثق ، الاكيد .

ووجّهتْ أبنى رسولاً قاصداً الى قيس تُعلمه ما جَرى وتحذّره . وبلغ أباه الخبرُ فعاتبه وتجهّمه وقال له : انتهى بك الأمر الى أن يُهْدِر السلطان دمك !

فقال :

فإن يَحْجُبوها او يَحُلْ ، دونَ وَصلِها ،
مقالةُ واشٍ ، أو وَعيدُ أميرِ

فلن يمنعوا عينيَّ من دائم البُكا ،
ولن يُذهِبوا ما قد أجَنَّ ضميري[1]

الى الله أشكو ما ألاقي من الهوى ،
ومن حُرَقٍ تعتادني وزفيرِ[2]

ومن حَرَقٍ للحبِّ في باطن الحشى ،
وليلٍ طويلِ الحزن غيرِ قصيرِ[3]

سأبكي على نفسي ، بعينٍ غزيرةٍ ،
بكاءَ حزينٍ ، في الوَثاق ، أسيرِ

---

١ اجن : ستر وأخفى .

٢ الحرق ، واحدها حرقة : ما يجده المرء في قلبه من الاحتراق والالم . يعتادني : ينتابني حتى صار كالعادة .

٣ الحرق : النار ، او لهبها .

وكنّا جميعاً ، قبل أن يظهر الهوى ،
بأنعَمِ حالَيْ غِبطَةٍ وسرورِ

فما برِح الواشون ، حتى بَدَتْ لهم
بطونُ الهوى مقلوبةً لظهورِ

لقد كنتِ حَسْبَ النفسِ ، لو دام وصلُنا ،
ولكنّما الدنيا مَتاعُ غرورِ

ـ هكذا في هذا الخبر أن الشعر لقيس بن ذَريح . وذكر الزُّبَير بن بَكّار أنه لجدّه عبد الله بن مُصْعَب ـ وقال ابن الكلبيّ في خبره : قال قيس في إهدار معاوية دمه إن زارها :

إن تلكُ لُبنى قد أتى ، دونَ قربِها ،
حجابٌ منيعٌ ما اليه سبيلُ

فإنّ نسيمَ الجوّ يجمَعُ بيننا ،
ونُبصرُ قَرْنَ الشمس حين تَزولُ

وأرواحُنا بالليلِ ، في الحيّ ، تلتقي ،
ونعلمُ أنّا بالنّهارِ نَقيلُ

وتجمعُنا الأرضُ القَرارُ ، وفوقَنا
سماء نرى فيها النجومَ تَجولُ

الى أن يعودَ الدهرُ سَلْماً ، وتَنقضي
تِراتٌ ، بغاهـا عندنا ، وذُحولُ[1]

يصادفها في الحج

ومما وجد في كتاب لابن النطّاح قال العُتْبيّ حدّثني أبي قـال : حَجّ قيس بن ذَريح ، واتّفق أن حجّتْ لُبنى في تلـك السنة ، فرآها ومعها امرأة من قومهـا ، فدَهِش وبقي واقفـاً مكانه ومضت لسبيلها. ثم أرسلت اليه بالمرأة تُبلغه السلامَ وتسأله عن خبره، فألفَتْه جالساً وحده يُنشد ويبكي :

ويومَ مِنىً أعرضتِ عنّي ، فلم أقل
بحاجة نفسٍ ، عنـد لُبنى مقالُهـا

وفي اليأسِ للنفسِ المريضةِ راحةٌ ،
اذا النفسُ رامت خُطّةً لا تَنالُها

فدخلتْ خباءه وجعلت تحدّثه عن لُبنى ويحدّثها عن نفسه مَليّاً[2] ، ولم تُعْلِمْه أنّ لُبنى أرسلَتْها اليه . فسألها أن تُبلغهـا عنه السلامَ ، فامتنعت عليه ، فأنشأ يقول :

---

١ التِرات ، واحدتها ترة : الثأر . الذحول ، واحدها ذحل : الثأر، والحقد .

٢ مليّاً : زمناً طويلاً .

اذا طلعتْ شمسُ النهار ، فسلّمي ،
فآيةُ تسليمي عليكِ طلوعُها[1]

بعشر تحيّاتٍ ، اذا الشمسُ أشرقتْ ،
وعشرٍ اذا اصفرّتْ وحان رجوعُها

ولو أبلغتْها جارةٌ قَولِيَ : اسلَمي ،
بكتْ جزَعاً وارفَضّ منها دموعُها[2]

وبان الذي تُخفي من الوجد في الحَشى ،
اذا جاءها عنّي حديثٌ يَروعُها

قال : وقضى الناسُ حجّهم وانصرفوا . فمرض قيس في طريقه مرضاً شديداً اشْفى منه على الموت ، فلم يأتِه رسولها عائداً لأن قومها رأوه وعلموا به ؛ فقال :

ألُبنى ! لقد جَلّت عليكِ مصيبتي ،
غَداةَ غدٍ ، اذ حلّ ما أتوقّعُ

تُمنّيني نَيْلًا ، وتَلوينَني به ،
فنفسيَ شوقاً ، كلّ يوم ، تَقَطّعُ[3]

---

١ الآية : العلامة .

٢ ارفض الدمع : انتثر .

٣ تلويني : تمطليني .

وقلبكِ قَطُّ ما يَلين لما يَرى ؛
فواكبدي قد طال هذا التضرُّعُ

ألومُكِ في شأني ، وأنتِ مُليمةٌ ،
لعَمري ، وأجفَى للمحبِّ وأقطعُ[1]

أخُبِّرتِ أني فيكِ مَيِّتُ حَسْرتي ،
فما فاض من عينيكِ للوَجْدِ مَدْمعُ

ولكن ، لعَمْري ، قد بكيتُكِ جاهداً ،
وإن كان دائي كلُّه ، منكِ أجمعُ

صَبيحةَ جاء العائداتُ يَعُدْنَني ،
فظلَّتْ عليَّ العائداتُ تَفَجَّعُ

فقائلةٌ : جئنا اليه وقد قضى ؛
وقائلةٌ : لا ، بل تركناه يَنزِعُ[2]

وروى القَحْذَميّ هاهنا :

فما غَشِيتْ عينيكِ من ذاك عبرةٌ ،
وعيني على ما بي بذِكراكِ تدمَعُ

---

١ مليمة : لائمة .

٢ ينزع : يشرف على الموت .

اذا أنتِ لم تَبكي عليَّ جنازةً
لديكِ ، فلا تبكي غداً حين أُرفَعُ[1]

قال: فبلغتْها الأبياتُ، فجزِعتْ جزعاً شديداً وبكت بكاءً كثيراً. ثم خرجتْ اليه ليلاً على موعد فاعتذرتْ وقالت : إنما أُبقي عليكَ وأخشى أن تُقتَل ، فأنا اتحاماكَ لذلك ، ولولا هذا لما افترقنا . وودّعتْه وانصرفتْ .

لبنى تكذب مرضه

وقال خالد بن كُلثوم : فبلغه أن أهلها قالوا لها : إنه عليل لما به وإنه سيموت في سفره هذا .

فقالت لهم لتدفَعهم عن نفسها : ما أراهُ إلا كاذباً فيما يدّعي ومتعلّلا لا عليلا . فبلغه ذلك فقال :

تكاد بلادُ الله ، يا أمَّ مَعْمَرٍ !
بما رحُبتْ ، يوماً ، عليَّ تَضيقُ
تكذّبني بالودّ لُبنى ، وليتَها
تُكلَّف منّي مثلَه فتذوقُ
ولو تعلمين الغَيبَ أيقنتِ أنني
لكم ، والهدايا المُشعَراتِ ، صديقُ[2]

---

١ اراد بالجنازة : المريض المشرف على الموت . ارفع : اي ارفع على الاعواد محمولا الى الرمس .

٢ الهدايا ، واحدتها هدية : ما أهدي الى الحرم من النعم .

تتـوقُ اليـكِ النفس ، ثم أرُدُّهـا
حيـاءً ، ومثلي بالحيـــاء حَقيـقُ

أذُود سَوامَ النفس عنكِ ، ومـا له
على أحـدٍ ، إلا عليكِ ، طريقُ[1]

فإنّي، وإن حاولتِ صُرمي وهِجرتي،
عليكِ ، منَ احداث الرّدى، لشَفيقُ

ولم أرَ أيّامـاً كأيّامنـــا ، التي
مَرَرْنَ علينـا ، والزمـان أنيقُ

ووعدُكِ إيّانا ، ولو قلتِ : عاجلٌ،
بعيدٌ ، كما قـد تعلمين ، سَحيقُ

وحدّثتَني ، يا قلبُ ، أنك صـابرٌ
على البين من لُبنى ، فسوف تذوقُ

فمُتْ كَمَداً، أو عِشْ سقيماً، فإنّما
تُكلّفني مـا لا أراكَ تُطيـقُ

أطعتَ وُشاةً ، لم يكن لـك فيهمُ
خليلٌ ، ولا جـارٌ عليك شَفيـقُ

---

١ اذود : ادفع واراد بسوام النفس : هواها ، وشوقها .

فإن تكُ لمّا تسْلُ عنها ، فإنّني
بها مُغرَمٌ ، صَبّ الفؤاد ، مَشُوقُ

بلُبنى أُنادَى ، عند أوّل غَشيَةٍ ،
ويَثْني بها الداعي لها ، فأفيقُ

شهِدتُ ، على نفسي ، بأنكِ غادةٌ
رَداحٌ ، وأنّ الوجهَ منكِ عَتيقُ[1]

وأنكِ لا تَجزينَني بصَحابة ؛
ولا أنا للهِجران منكِ مُطيقُ

وأنّكِ قسّمتِ الفؤادَ ، فنِصفُه
رَهينٌ ، ونصفٌ في الحِبال وَثيقُ

صَبُوحي ، اذا ما ذرّت الشمسُ ، ذكرُكم ؛
ولي ذكرُكم ، عند المساء ، غَبوقُ[2]

اذا أنا عزّيتُ الهوى ، او تركتُه ،
أتتْ عَبَراتٌ بالدموع تَسوقُ

---

١ الرداح : الثقيلة الاوراك . العتيق : الجميل الكريم .
٢ الصبوح : شرب الصباح . الغبوق : شرب المساء .

كأنّ الهوى، بين الحَيازِيم والحَشى،
وبين التَّراقي واللَّهاةِ ، حَريقُ[1]

فإن كنتِ لمّا تَعلمي العلمَ، فاسألي،
فبعضٌ لبعضٍ في الفَعالِ فَؤوقُ[2]

سلي ! هل قَلاني من عشيرٍ صحبتُه ؛
وهل مَلَّ رَحلي، في الرِّفاق، رفيقُ

وهل يَجتَوي القومُ الكرامُ صَحابتي
اذا اغبرَّ مَحْشيُّ الفِجاج عَميقُ

وأكتُم أسرار الهوى ، فأميتُها ،
اذا باح مَزّاحٌ بهنّ ، بَرُوقُ[3]

سعى الدهرُ والواشون بيني وبينها ،
فقُطِّع حبلُ الوصلِ ، وهو وثيقُ

هل الصبرُ ، إلا أن أصُدَّ ، فلا أُرى
بأرضكِ ، إلا أن يكون طريقُ ؟

---

١ الحيازيم : واحدها حيزوم ، وهو وسط الصدر . التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق. اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

٢ فؤوق : متفوق ، وهو فعول من فاقه : رجح عليه .

٣ البروق : الجبان ، المتحير ، الدهش .

قيس وزوج لبنى

قال : ثم أتى قومَه فاقتطع قطعةً من إبله وأعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعها ويَمتارَ لأهله بثَمنها . فعرف أبوه انه انما يريد لُبنى ، فعاتبه وزجَره عن ذلك، فلم يقبل منه، وأخذ إبلَه وقدِم بها المدينة .

فبينا هو يعرِضها اذ ساومه زوج لُبنى بناقة منها وهما لا يتعارفان ، فباعه إياها . فقال له : اذا كان غدًا فأتِني في دار كثير ابن الصَّلت فاقبِض الثمن .

قال : نعم .

ومضى زوج لُبنى اليها فقال لها : إني ابتعتُ ناقة من رجل من أهل البادية وهو يأتينا غدا ليقبض ثمنها ، فأعِدّي له طعاماً .

ففعلتْ . فلما كان من الغد جاء قيس فصوّت بالخادم : قولي لسيّدكِ : صاحبُ الناقة بالباب .

فعرفتْ لُبنى نغمَته فلم تقل شيئاً . فقال زوجها للخادم : قولي له : ادخل .

فدخل فجلس . فقالت لُبنى للخادم : قولي له : يا فتى ، ما لي أراك أشعثَ أغبر ؟

فقالت له ذلك . فتنفّس ثم قال لها : هكذا تكون حالُ مَنْ فارق الأحبّةَ واختار الموتَ على الحياة . وبكى .

فقالت لها لُبْنى : قولي له : حدّثنا حديثَك .

فلما ابتدأ يحدّث بـه كشفت الحجابَ وقالت : حسْبُك ! قـد عرفنا حديثَك ! وأسْبلتِ الحجاب .

فبُهت ساعة لا يتكلم ثم انفجر باكياً ونهض فخرج . فناداه زوجها : وَيْحَـك ! ما قصّتك ؟ ارجع اقبض ثمن ناقتك ، وإن شئتَ زِدناك .

فلم يكلّمه وخرج فاغـترز[1] في رَحْله ومضى . وقالت لُبنى لزوجها : وَيْحَـك ! هذا قيس بن ذَرِيح . فما حمَـلَك على ما فعلتَ به ؟

قال : ما عرفتُه .

وجعل قيسٌ يبـكي في طريقه ويندُب نفسَه ويوبّخهـا على فعله ثم قال :

أتبكي على لُبْنى ، وأنت تركتَهـا ،
وأنت عليهـا بالملا ، أنت ، أقـدَرُ

فـإن تكن الدنيـا بلُبنى تقلّبتْ
عليَّ ، فلِلدنيـــا بطونٌ وأظهُرُ

لقـد كان فيها للأمانـةِ موضعٌ ،
وللكفّ مُرتادٌ ، وللعـين مَنْظَـرُ

وللحائمِ العطشانِ رِيّ بريقِهـا ،
وللمـرِح المختـالِ خَمرٌ ومُسكِرُ

---

١ اغترز : ركب ، والغرز للجمل مثل الركاب للبغل .

كأني ها ارْجوحةٌ بين أَحْبُلٍ ،
إذا ذُكِرَتْ منها ، على القلب ، تخطُرُ

أخبرني الحرَميّ بن أبي العَلاء قال : تزوّج رجلٌ من أهل المدينة يقال له أبو دُرّة امرأةً كانت قبله عند رجل آخر من أهل المدينة يقال له أبو بُطَينة ، فلقيه زوجها الأوّل فضربه ضربةً شلّت يدُه منها . فلقيه أبو السائب المخزومي فقال له : يا أبا دُرّة ! أضَرَبكَ أبو بُطَينة في زوجته ؟

قال : نعم .

قال : أمَا إني أشهد أنها ليست كما قال قيس بن ذَريح في زوجته لُبنى :

لقد كان فيها للأمانة موضعٌ ؛
وللكفّ مُرتادٌ ، وللعين مَنظرُ

وللحائم العطشان رِيّ بريقِها ؛
وللمَرِح المختال خمر ومُسْكِرُ

قال : وكانت زوجة أبي دُرّة هذه سوداء كأنها خُنفَساء .

مرضه بعد رؤيته لبنى

قال : وعاد الى قومه بعد رؤيته إيّاها وقد أنكر نفسه وأسِف ولحقه أمرٌ عظيم ؛ فأنكروه وسألوه عن حاله فلم يخبرهم ؛ ومرض مرضاً

شديداً أشرف منه على الموت . فدخل اليه أبوه ورجالُ قومه فكلموه وعاتبوه وناشدوه الله . فقال : وَيحَكم ! أترَوْنِي[1] أمرضتُ نفسي ، او وجدت لها سَلوةً بعد اليأس فاخترتُ الهمَّ والبلاء ، أو لي في ذلك صُنع ! هذا ما اختاره لي أبواي وقتلاني به .

فجعل أبوه يبكي ويدعو له بالفرج والسَّلوة . فقال قيس :

لقد عذَّبتَني يا حبَّ لُبنى ،
فقَعْ إمَّا بموتٍ أو حياةِ

فإنَّ الموت أَرْوحُ من حياة ،
تدومُ على التباعد والشَّتاتِ

وقال الأقربون : تَعَزَّ عنها ،
فقلت لهم : اذاً حانت وفاتي

تلومه على زواجه بعدها

قال : ودَسَّت اليه لُبنى بعد خروجه رسولاً وقالت له : استنشِده ، فإن سألك عن نسبَتك فانتسِبْ له خُزاعيّاً ؛ فإذا أنشدك فقل له: لِمَ تزوّجتَ بعدها حتى أجابت إلى أن تتزوّج بعدك؟ واحفَظ ما يقول لك حتى تردَّه عليَّ .

---

١ اتروني : اتظنوني .

فأتاه الرسول فسلّم وانتسب خُزاعيّاً ، وذكر أنه من أهل الشام واستنشده ؛ فأنشده قوله :

فأقسِم ما عُمْشُ العيونِ شوارِفٌ
روائمُ بَوٍّ حانياتٌ على سَقْبِ

— وقد مضت هذه الأبيات — فقال له الرجل : فلم تزوّجتَ بعدها؟

فأخبره الخبر ، وحلف له أنّ عينَه ما اكتحلتْ بالمرأة التي تزوّجها ، وأنه لو رآها في نِسْوة ما عرفها ، وأنه ما مدّ يدَه اليها ولا كلّمها ولا كشف لها عن ثوب .

فقال له الرجل : فإني جارٌ لها وإنها من الوَجْدِ بك على حالٍ قد تمنّى زوجُها معها ان تكون بقربها لتصلح حالَها بك ؛ فحمّلني اليها ما شئت أؤدّه اليها .

قال : تَعُود إليّ إذا أردتَ الرحيل .

فعاد اليه لمّا أراد الرحيلَ . فقال تقول لها :

ألا حيِّ لُبنى اليومَ ، إن كنتَ غاديا ،
وأَلْمِمْ بها من قبلِ أن لا تلاقيا

وأَهْدِ لها منك النصيحةَ ، إنها
قليلٌ ، ولا تَخْشَ الوُشاةَ الأدانيا

وقل : إنني ، والراقصاتِ الى مِنىً ،
بأجْبُلِ جَمْعٍ ينتظرنَ المنـاديا[1]

أصونُكِ عن بعضِ الأمورِ مَضَنَّةً ،
وأخشَى عليكِ الكاشحينَ الأعاديا[2]

تَساقَطُ نفسي ، حـين ألقاكِ ، أنفُساً
يَرِدْنَ ، فما يَصْدُرْنَ إلا صَوادِيا[3]

فإنْ أَحْيَ ، أو أهلِكْ ، فلستُ بزائلٍ
لـكم حافظاً ، ما بَـلَّ ريقٌ لسانيا

أقول ، إذا نفسي من الوَجْدِ أَصْعدتْ ،
بهـا زَفْـرةٌ تعتادني هي ما هيـا

وبـين الحشَى والنحرِ مني حرارةٌ ،
ولوعةُ وجدٍ تترك القلب ساهيا :

ألا ليتَ لُبْنى لم تكن ليَ خُلَّةً ،
ولم تَرَني لُبنى ، ولم أدرِ ما هيـا[4]

---

١ الرافصات : النياق المسرعات خبباً . جمع : المزدلفة .

٢ مضنة : بخلاً .

٣ الصوادي : العطاش ، واحدتها صادية .

٤ خلة : صديقة .

سَلي الناسَ ! هل خَبَّرتُ سِرَّكِ منهمُ
أخا ثقـة ، أو ظاهِرَ الغِشِّ باديا

يقول ليَ الواشـون لمّا تَظاهروا
عليكِ ، وأَضحَى الحبلُ للبين واهيا :

لعَمْري، لقبلَ اليومِ حُمِّلتَ ما ترى،
وأُنذِرتَ من لُبنى الذي كنتَ لاقيا

خليليَّ ! ما لي قـد بَلِيتُ ولا أرى
لُبَيْنى، على الهِجران ، إلاَّ كما هيا ؟

ألا يا غُرابَ البَـين ! ما لكَ كلَّما
ذكرتُ لُبَيْنى طِرْتَ لي عن شِمالِيا[1]

أعندكَ علمُ الغيبِ أم لستَ مُخبِري،
عن الحيِّ ، إلا بالذي قد بدا ليا ؟

جَزِعتُ عليها لو أَرى ليَ مَجزَعاً ،
وأفنيتُ دمعَ العـين ، لو كان فانيا

حياتَك لا تُغْلَبْ عليهـا ، فإنّه
كفى بالذي تَلقى لنفسِك ناهيـا

---

١ الطيران عن الشمال داعية الى التشاؤم .

تمرُّ الليالي والشهور ، ولا أرى
وَلُوعِي بها يزداد ، إلاّ تماديا

فما عن نَوالٍ من لُبَيْنى زيارتي ؛
ولا قِلَّةُ الالمام أن كنتُ قاليا[1]

ولكنَّها صَدَّتْ وحُمِّلتُ ، من هوًى
لها ، ما يَؤودُ الشامخاتِ الرواسيا[2]

وهذه القصيدة تُخلَط بقصيدة المجنون التي في وزنها وعلى قافيتها لتشابههما ، فقلَّما تتميّزان .

لبنى وزوجها

حدَّثني المدائنيّ قال : شَهِر أمرُ قيس بالمدينة وغنّى في شعره الغَريض ومَعْبَد ومالك وذووهم ، فلم يبقَ شريف ولا وضيع إلاّ سمع بذلك فأطربه وحزِن لقيْس مما به . وجاءها زوجها فأنّبها على ذلك وعاتبها وقال : قد فضحتِني بذكرك .

فغضِبتْ وقالت : يا هذا ، إني والله ما تزوّجتك رغبةً فيك ولا

---

١ القالي : المبغض .

٢ يؤود : يثقل .

فيما عندك ولا دُلّس[1] أمري عليك ، ولقد علمتَ أني كنتُ زوّجتُه قبلك وأنه أُكرِه على طلاقي . ووالله ما قبِلتُ التزويجَ حتى أُهدِر دمه إن ألَمّ بحيّنا ، فخشِيتُ أن يحملَه ما يجدُ على المخاطرة فيُقْتَلَ ، فتزوّجتك . وأمرُك الآنَ اليك ، ففارِقني فلا حاجة بي اليك .

فأمسك عن جوابها وجعل يأتيها بجواري المدينة يغنّينها بشعر قيس كيما يستصلحَها بذلك ؛ فلا تزداد إلا تمادياً وبُعداً ، ولا تزال تبكي كلّما سمعتْ شيئاً من ذلك أحرّ بكاءٍ وأشجاه .

رجع الحديث الى سياقته .

بريكة تتوسط له

وقال الحِرمازيُّ وخالد بن جَمَل : كانت امرأة من موالي بني زُهْرة يقال لها بُرَيكةُ من أظرف النساء وأكرمِهنّ ، وكان لها زوج من قريش له دارُ ضيافة . فلما طالت علّة قيس قال له أبوه : إني لأعلم أن شفاءك في القرب من لُبنى فارحل الى المدينة .

فرحل اليها حتى أتى دار الضيافة التي لزوج بُريكة . فوثب غِلمانُه الى رَحْل قيس ليحطّوه . فقال : لا تفعلوا فلستُ نازلاً أو ألقى

---

١ دلس : كتم .

بُريْكة فإنّي قصدتها في حاجة ، فإن وجدتُ لها عندها موضعاً نزلت بكم وإلا رحلت .

فأتوها فأخبروها . فخرجتْ اليه فسلّمتْ عليه ورحّبت به وقالت : حاجتُك مقضيةٌ كائنةً ما كانت ، فانزل .

فنزل ودنا منها فقال : أذكرُ حاجتي ؟

قالت : إن شئتَ .

قال : انا قيس بن ذَريح .

قالت: حيّاك الله وقرّبك! إن ذكرَكَ لجديدٌ عندنا في كل وقت.

قال : وحاجتي أن أرى لُبنى نظرةً واحدة كيفَ شئتِ .

قالت : ذلك لك عليّ .

فنزل بهم وأقام عندها وأخفتْ أمرَه ، ثم أهدى لها هدايا كثيرةً وقال : لاطِفيها وزوجَها بهذا حتى يأنس بكِ .

ففعلتْ وزارتْها مراراً ، ثم قالت لزوجها : أخبِرْني عنك : أنت خيرٌ من زوجي ؟

قال : لا .

قالت : فلُبنى خير منّي ؟

قال : لا .

قالت : فما بالي أزورها ولا تزورني ؟

قال : ذلك اليها .

فأتتها وسألتها الزيارة وأعلمتْها ان قيساً عندها . فتسارعت الى

ذلك وأتتْها . فلمّا رآها ورأتْه بكيا حتى كادا يتلفان . ثم جعلت تسأله عن خبره وعِلّته فيخبرُها ، ويسألها فتخبره . ثم قالت : أنشِدْني ما قلتَ في علّتك .

فأنشدها قولَه :

أُعالج من نفسي بَقايا حُشاشة
على رَمَقٍ ، والعائداتُ تعودُ[1]

فإن ذُكرتْ لبُنى هَشِشتُ لذكرها،
كما هَشّ للثّدْيِ الدَّرُورِ وَليدُ

أُجيبُ بلبُنى مَن دعاني تَجلُّداً ،
وبي رَفَراتٌ تَنجلي وتعودُ

تُعيدُ الى روحي الحياةَ ، وإنني
بنفسيَ ، لو عاينتني ، لأجودُ

قال : وفي هذه القصيدة يقول :

ألا ليتَ أيّاماً مَضَينَ تعودُ ،
فإن عُدْنَ يوماً إنني لسعيدْ

سَقَى دارَ لبُنى، حيثُ حَلّتْ وخيّمت
من الارضِ ، مُنْهَلُ الغَمامِ ، رَعودْ

---

١ الحشاشة : بقية الروح في المريض والجريح .

وتمام هذه القصيدة :

على كلِّ حالٍ إن دنَتْ ، او تباعدتْ ،
فإن تَدْنُ منّا ، فالدنوُّ مَزيدُ

فلا اليأسُ يُسْلِيني ولا القربُ نافعي ،
ولُبنى مَنُوعٌ ما تكادُ تجودُ

كأنّيَ ، من لُبنى ، سليمٌ مُسهَّدٌ ،
يَظلُّ على أيدي الرجالِ يَميدُ[1]

رمتْني لُبَينى في الفؤاد بسهمها ،
وسهمُ لُبينى للفؤادِ صَيُودُ

سَلا كلُّ ذي شَجْوٍ علمتُ مكانَه ،
وقلبي للُبنى ما حَييتُ وَدودُ

وقائلةٍ قد مات أو هو ميِّتٌ ،
وللنفسِ منّي أن تَفيضَ رَصيدُ

أعالِج ، من نفسي ، بقايا حُشاشةٍ
على رَمَقٍ ، والعائداتُ تعودُ

وقال الحِرمازيُّ في خبره خاصّة : وعاتبتْه على تزوُّجه ؛ فحلف أنه لم ينظر اليها ملءَ عينيه ولا دنا منها ، فصدّقتْه . وقال :

---

١ السليم : اللديغ . المسهد : الساهر .

ولقد أردتُ الصبرَ عنكِ ، فعاقَني
عَلَقٌ بقلبي ، من هواكِ ، قديمُ

يَبقى على حَدَثِ الزمانِ ورَيبه ،
وعلى جَفائكِ ، إنه لكريمُ

فصَرَمتِه وصَحَحْتُ ، وهو بدائه ؛
شَتّان بين مُصَحَّحٍ وسَقِيمِ

وارَبتِه زمناً ، فعاد بحِلمه ؛
إنّ المحبَّ عن الحبيبِ حليمُ[1]

قالوا : فلم يزل يومَه معها يحدّثها ويشكو اليها أعفَّ شكوى وأكرمَ حديث حتى أمسى ، فانصرفتْ ووعدتْه الرجوع اليه من غدٍ فلم ترجع .

وشاع خبره فلم تُرسل اليه رسولاً . فكتب هذه الأبيات في رُقعة ودفعها الى بُرَيْكة وسألها أن تُوصلها اليها ، ورحَل متوجهاً الى معاوية . والأبيات :

بنفسيَ مَن قلبي له ، الدهرَ ، ذاكرُ ؛
ومَن هو عنّي مُعرِضُ القلبِ صابرُ

---

١ واربته : خادعته .

ومَن حُبُّه يزدادُ عنديَ جِدّةً ،
وحبّي لديه مُخْلِقِ العهدِ داثرُ

يزيد يحقن دمه

قالوا : ثم ارتحل الى معاوية ، فدخل الى يزيد فشكا ما به اليه وامتدحه ؛ فرَقّ له وقال : سَلْ ما شئتَ ، إن شئتَ أن أكتب الى زوجها فأحتّمَ عليه أن يطلّقها فعلتُ .

قال : لا أريد ذلك، ولكن أحبُّ أن أُقيمَ بحيثُ تقيمُ من البلاد ، أتعرّفُ أخبارها وأقنَعُ بذلك من غير أن يُهدَر دمي .

قال : لو سألتَ هذا من غير أن ترحل الينا فيه لما وجب أن تُمْنَعَه ، فأقم حيثُ شئت .

وأخذ كتاب أبيه له بأن يُقيمَ حيثُ شاء وأحبّ ولا يَعترِضَ عليه أحد ، وأزال ما كان كُتِبَ به في إهدار دمه .

فقدِمَ الى بلده . وبلغ الفَزاريّين خبرُه وإلمامُه بلُبنى ، فكاتبوه في ذلك وعاتبوه . فقال للرسول : قل للفتى — يعني أخا الجارية التي تزوّجها — : يا أخي ما غرَرتُك من نفسي ، ولقد أعلمتك أني مشغول عن كل أحد ، وقد جعلتُ أمرَ أُختك اليك فأمضِ فيه من حكمك ما رأيت .

فتكرّمَ الفتى عن أن يُفرّق بينهما ، فمكثتْ في حِباله مدةً ثم ماتت .

ذهوله

أقبلتُ[1] ذات يوم من الغابة[2] ؛ فلما كنت بالمَذاد[3] ، اذا رَبْعٌ حديثُ العهدِ بالساكن ، واذا رجل مجتمِع في جانب ذلك الربـــع يَبكي ويحدّث نفسَه . فسلّمتُ فلم يَرُدّ عليّ سلاماً . فقلتُ في نفسي : رجل مُلتَبَسٌ به[4] ؛ فولّيتُ عنه . فصاح بي بعد ساعة : وعليك السلام ، هَلُمّ هلم إليّ يا صاحب السلام .

فأتيته فقال : أمَا والله لقد فهمتُ سلامك ولكنّي رجل مُشتَرَك اللبّ يَضِلُّ عنّي أحياناً ثم يعود إليّ .

فقلتُ : ومن أنت ؟

قال : قيس بن ذريح اللَّيْثيّ .

قلت : صاحبُ لُبْنى ؟

قال : صاحبُ لُبْنى لعَمْرِي وقتيلُها !

ثم أرسل عينيه كأنهما مَزَادتانِ ؛ فما أنسى حسنَ قوله :

أبائنةٌ لُبْنى ، ولم تَقطعِ المدَى
بوصلٍ ، ولا صُرْمٍ ، فييأسَ طامعُ !

---

١ الحديث لعياش السعدي .
٢ الغابة : بريد من المدينة على طريق الشام .
٣ المذاد : موضع بالمدينة .
٤ ملتبس به : مخالط في عقله .

نهاري نهارُ الوالهين صَبابةً ؛
وليلي تنبو فيه عني المضاجعُ

وقد كنتُ قبل اليوم خِلواً ، وإنما
تُقَسَّم ، بين الهالكينَ ، المصارِعُ

فلولا رجاءُ القلب أن تَسْعِفَ النَّوَى ،
لمَا حَبَسَتْه بينهنَّ الأضالعُ

له وَجَباتٌ إثْرَ لُبْنى ، كأنها
شقائقُ برقٍ في السماء لوامِعُ[1]

أبى اللهُ أن يَلْقى الرَّشادَ مُتيَّمٌ ؛
ألا كلُّ أمرٍ حُمَّ لا بُدَّ واقعُ[2]

هما بَرَّحا بي مُعْوِلَيْنِ كِلاهما :
فؤادٌ وعينٌ جفنُها ، الدَّهرَ ، دامعُ

ابن جندب ينشد من شعره

قال الزُّبَير : حدّثتني ظَبْية قالت :
سمعتُ عبد الله بن مُسْلِم بن جُنْدَب يُنْشِد زوجي قولَ قيس ابن ذَريح :

---

١ وجبات : خفقات . شبه خفقان القلب بخفقان البرق .
٢ حم : قرب .

إذا ذُكِرتْ لُبنى تأوّه واشتكى ،
تأوُّهَ محمومٍ عليـــه البَلابـلُ

يَبيت ويُضْحي تحت ظِلّ منيّة ،
بـه رَمَقٌ تَبْكي عليه القبـائلُ

قتيـلٌ للُبْنى ، صـدّع الحبُّ قلبَه ،
وفي الحبّ شُغْـلٌ للمحبّين شاغلُ

فصاح زوجي : أوّه ! واحرَباه ! واسَلَباه !
ثم أقبل عليّ ابن جُنْدَب فقال : وَيْلَك ! أتُنشد هذا كذا !
قال : فكيف أُنشِدُه ؟
قال : لِمَ لا تتأوّه كما يتأوّه وتشتكي كما يشتكي !

أحر ما قال في لبنى

وقال القَحْذَمِيّ : قال ابن أبي عَتيق لقيس يوماً : أنشِدني أحرّ ما قلتَ في لُبْنى . فأنشده قولَه :

وإني لأهوى النّومَ ، في غير حِينه ،
لعـلّ لقاءً في المنـــام يكونُ

تُحَـدّثني الأحـلامُ أني أراكمُ ؛
فيا ليتَ أحلامَ المنـامِ يَقِـينُ

شَهِدتُ بأني لم أحُلْ عن مَوَدّةٍ ،
وأني بكم ، لو تَعْلمين ، ضَنِينُ

وأن فؤادي لا يَلِينُ الى هوًى
سواكِ ، وإن قالوا : بَلى سيَلِينُ

فقال له ابن أبي عَتيق : لَقَلَّ ما رضيتَ به منها يا قيس !
قال : ذلك جُهْدُ المُقِلّ .

ثعلب ينشد شعره

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال : أنشدني أحمد بن يحيى ثَعْلب لقيس بن ذَريح وكان يستحسن هذه الأبياتَ من شعره :

سقَى طَلَلَ الدّارِ ، التي أنتمُ بها ،
حَيا ثم وَبْلٌ صَيِّفٌ ورَبيعُ

مضى زمنٌ ، والناسُ يستشفعون بي ؛
فهل لي الى لُبْنى ، العَداةَ ، شفيعُ ؟

سأصرِمُ ، لُبْنى ، حبلَكِ اليومَ مُجمِلًا ،
وإن كان صَرْمُ الحبلِ منكِ يَرُوعُ

وسوفَ أُسَلّي النفسَ عنكِ، كما سَلا،
عن البلد النائي البعيـدِ، نزيعُ[1]

وإنْ مَسّني، للضُّرّ منكِ، كآبةٌ؛
وإن نال جِسمي، للفِراقِ، خُشوعُ

يقولون صَبّ بالنساء، موكّلٌ،
ومـا ذاك من فعل الرجـال بَديعُ

نَدِمتُ عـلى ما كان مني ندامةَ،
كما نـدِم المغبونُ حـينَ يَبيعُ

فقَدتُكِ من نفسٍ شَعاعٍ، ألم أكن
نهيتُكِ عن هـذا، وأنتِ جَميعُ

فقرّبتِ لي غيرَ القريبِ، وأشرَفتْ
هناكَ ثنـايا ما لهنّ طلـوعُ

الى الله أشكو نيّةَ شَقّت العصا،
هي اليومَ شتّى، وهي أمسِ جميعُ

فيا حَجَراتِ الدارِ، حيث تحمّلوا
بذي سَلَمٍ، لا جادكنّ ربيعُ

---

١ نزيع : غريب .

فلو لم يَبجْني الظاعنون لهاجَني
حمائمُ ورقٌ ، في الدِّيار ، وقوعُ[1]

تَداعَينَ ، فاستبكَينَ من كان ذا هوًى ،
نوائحَ لم تَقطُر لهنَّ دُموعُ

اذا أمرتْني العاذلاتُ بهجرها ،
أبتْ كَبِدٌ عمّا يَقُلنَ صَديعُ

وكيف أُطيعُ العاذلات ، وذكرُها
يؤرِّقُني ، والعاذلاتُ هُجوعُ ؟

أبو السائب وشعر قيس

أنشدتُ[2] أبا السائب المَخزوميّ قولَ قيس بنِ ذَريح :

أُحبُّك أصنافاً من الحبِّ لم أجِدْ
لها مثَلا ، في سائر الناس ، يُوصَفُ

فمنهنَّ حبٌّ للحبيب ورحمةٌ ،
بمعرفتي منه بما يتكلَّفُ

---

١ وقوع : نزول ، من وقعت الطير على شجر أو أرض ، اذا نزلت .

٢ الحديث لعبد الملك بن عبد العزيز .

ومنهنّ ألاّ يَعرِضَ، الدّهرَ، ذكرُها
على القلب، إلاّ كادت النفس تَتلَفُ

وحبّ بدا بالجسم واللونِ ظاهرٌ،
وحبّ لدى نفسي من الروح ألطفُ

قال أبو السائب : لا جَرَمَ والله لأُخلِصنّ له الصَّفاءَ ولأغضَبنّ لغضبه ولأرضَيَنّ لرضاه .

أخبرني الحَرَميُّ عن أبي السائب المخزوميّ أنه أخبره أنه كان مع عبد الرحمن بن عبد الله بن كَثير في سَقيفة دار كَثير ، إذ مُرّ بجنازة؛ فقال لي : يا أبا السائب ، جارُك ابن كَلَدة ، ألا تقوم بنا فنصلّيَ عليه !

قال : قلتُ : بَلى والله فديتُك !

فقمنا حتى اذا كنّا عند دار أُوَيْس اذ ذكرتُ ان جدّه كان تزوّج لُبنى ونزل بها المدينة ، فرجعتُ فطرحتُ نفسي في السَّقيفة وقلت : لا يراني الله أُصلّي عليه . فرجع الكَثيريُّ فقال : فعلى غير وُضوء ؟

قلت : لا والله .

قال : فما لك؟

قلت : ذكرت أن جدّه كان تزوّج لُبنى وفرّق بينها وبين

قيس بن زُريق لمّا ظعن بها من بلادها ، فما كنت لأصلّيَ عليه .

مررت[1] بسوق الطّير . فاذا الناس قد اجتمعوا يركب بعضهم بعضاً ، فاطّلعتُ فاذا أبو السائب المخزوميّ قائم على غراب يُباع وقد أخذ بطَرف ردائه وهو يقول للغراب: يقول لك قيس بن زُريق:

ألا يا غرابَ البين قد طِرْتَ بالذي
أُحاذِر من لُبنى، فهل أنت واقعُ ؟

لِمَ لا تقع ! ويضربه بردائه والغراب يصيح .

قال : فقال قائل له : أصلحك الله يا أبا السائب ! ليس هذا ذاك الغراب .

فقال : قد علمت ، ولكن آخذ البريء حتى يقع الجريء .

وقال الجِرمازيُّ في خبره : لما بلغ لُبنى قولُ قيس :

ألا يا غرابَ البين قد طِرْتَ بالذي
أُحاذِر من لبنى ، فهل أنت واقعُ ؟

آلتْ ألاّ ترى غراباً إلاّ قتلتْه ، فكانت كلّما رأته أو رأته خادمٌ لها أو جارة ابتيع ممن هو معه وذبحتْه .

وهذه القصيدة العينيّة أيضاً من جيّد شعر قيس . والمختارُ منها قوله :

---

١ الحديث للخليل بن سعيد .

أتبكي على لُبنى ، وأنت تركتَها ،
وكنتَ كآتٍ حَتْفَه ، وهو طائعُ[1] ؟

فيا قلبُ صبراً واعترافاً لما ترى ؛
ويا حبَّها قَعْ بالذي أنت واقعُ

ويا قلبُ خبِّرني ، إذا شطَّتِ النَّوى
بلُبْنى ، وبانت عنك ، ما أنت صانعُ

أتصبِر للبَيْن المُشِتّ مع الجَوَى ،
أمَ انت امرؤ ناسي الحياء ، فجازعُ

كأنَّك بِدْعٌ لم ترَ الناسَ قبلَها
ولم يَطَّلِعْك الدهرُ فيمن يُطالعُ[2]

ألا يا غرابَ البَين قد طِرْتَ بالذي
أُحاذِر من لُبنى ، فهل أنت واقعُ ؟

فليس محبٌّ دائماً لحبيبِه ،
ولا ثِقةٌ إلا له ، الدهرَ ، فاجعُ

---

١ الحتف : الموت .

٢ البدع : الذي لم يجرب الامور .

كأنّ بلادَ الله ، لم تكن بها ،
وإن كان فيها الناسُ ، قَفْرٌ بلاقِعُ[1]

فما أنت ، إذ بانت لُبَيْنى ، بهاجعٍ
إذا ما اطمأنّتْ بالنّيام المضاجعُ

أُقَضّي نهاري بالحديث وبالمُنى ،
ويجْمعني والهمّ ، بالليل ، جامعُ

نهاري نهارُ الناس ، حتى إذا دَجا
ليَ الليلُ هزّتني إليكِ المضاجعُ

لقد رسَختْ ، في القلب ، منكِ مودّةٌ ،
كما رسَختْ في الراحتين الاصابعُ

أَحالَ عليّ الهمُّ من كلّ جانبٍ ،
ودامتْ ، فلم تبرحْ ، عليّ الفواجعُ

ألا إنما أبكي لِمَا هو واقعٌ ؛
فهل جَزَعي من وَشْكِ ذلك نافعُ ؟

وقد كنتُ أبكي ، والنّوى مطمئنّةٌ
بنا وبكم ، من عِلمِ ما البينُ صانعُ

---

١ البلاقع ، واحدها بلقع : القفر .

وأهجُركم هجرَ البَغيضِ ، وحبُّكم
على كبدي منه كُلُومٌ صوادعُ

وأَعمِد للأرض التي لا أريدهـا ،
لِتَرْجِعَني يوماً إليكِ الرواجعُ

وأُشْفِق من هِجرانكم ، وتَرُوعني
مخافةُ وَشْكِ البينِ ، والشَّملُ جامعُ

فما كلُّ ما منَّتْكَ نفسُك خالياً
تُلاقي ، ولا كلُّ الهوى أنتَ تابعُ

فتلك لُبَيْنى قد تراخى مَزارُها ؛
وتلك نواها غُرْبةٌ ما تُطاوعُ

وليس لأمرٍ ، حاول اللهُ جمعه ،
مُشِتّ ، ولا ما فرَّق اللهُ جامعُ

فلا تَبْكِيَنْ في إثر لُبنى ندامةً ،
وقد نَزَعَتْها من يديكَ النوازعُ

وقد قيل : إن ثلاثة أبيات من هذه وهي : « أُقضّي نهاري بالحديث وبالمنى » والبيتان اللذان بعده لابن الدُّمَيْنة الخَثْعَميّ ؛ وهو الصحيح ؛ وإنما أدخلها الناس في هذه الأبيات لتشابهها .

اخر امر قيس ولبنى

وقد اختُلف في آخر أمر قيس ولُبنى ؛ فذكر أكثر الرُّواة أنهما ماتا على افتراقهما ، فمنهم من قال : إنـــه مات قبلَها وبلغها ذلك فماتت أسفاً عليه . ومنهم من قال : بل ماتت قبله ومات بعدها أسفاً عليها . وممن ذكر ذلك اليوسُفِيُّ عن عليّ بن صالح صاحب المُصَلَّى؛ قال : قال لي أبو عمرو المدَنيّ :

ماتت لُبنى ، فخرج قيسٌ ومعـه جماعةٌ من أهله فوقف عـلى قبرها فقال :

ماتت لُبَيْنى ، فموتُهـا مَوْتي ،
هل تنفعَنْ حَسْرتي على الفَوْتِ ؟

وسوف أبكي بـــكاءَ مكتئبٍ
قضى حيـاةً وَجْداً على مَيْتِ

ثم أَكَبَّ على القبر يبكي حتى أُغمي عليه ؛ فرفعه أهلُه الى مـنزله وهو لا يعقل ، فلم يزل عليلاً لا يُفيق ولا يجيب مكلِّماً ثلاثاً حتى مات فدُفن إلى جنبها .

وذكر القَحْذَمِيّ وابن عائشة وخالد بن جمـل أن ابن أبي عتيق صار الى الحسن والحسين ابـَنيْ عليّ بن أبي طالب وعبـد الله بن جعفر رضي الله عنهم وجماعةٍ من قريش ، فقال لهم : إن لي حاجةً الى رجل

أخشى أن يَرُدَّني فيها ، وإني أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه .

قالوا : ذلك لك مُبْتَذَلٌ منّا .

فاجتمعوا ليومٍ وعَدهم فيه ، فمضى بهم الى زوج لُبنى . فلمّا رآهم أعْظم مصيرَهم اليه وأكبره . فقالوا : لقد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عَتيق .

قال : هي مقضيّة كائنةً ما كانت .

قال ابن أبي عتيق : قد قضيتَها كائنةً ما كانت من ملك أو مال أو أهل ؟

قال : نعم .

قال : تَهَب لهم ولي لُبنى زوجتَك وتطلّقها .

قال : فإني أُشْهِدكم أنها طالقٌ ثلاثاً .

فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا : والله ما عرفنـــا حاجته ، ولو علمنا أنها هذه ما سألناك إياها .

وقال ابن عائشة : فعوّضه الحسنُ من ذلك مائةَ ألف درهم وحملها ابن أبي عتيق اليه . فلم تزل عنده حتى انقضت عِدّتُها . فسأل القومُ أباها فزوّجها قيساً ، فلم تزل معه حتى ماتا .

قالوا : فقال قيس يمدح ابن أبي عَتيق :

جزى الرحمنُ ، أفضَلَ ما يُجازي
على الاحسانِ ، خيراً من صديقِ

فقد جَرَّبتُ إخواني جميعاً ،
فما ألفَيْتُ كابنِ أبي عتيقِ

سعى في جمع شَمْلي بعد صَدْعٍ ،
ورَأيٍ حِدْتُ فيه عن الطريقِ

وأطفأ لوعةً كانت بقلبي ،
أغصَّتْني حرارتُها بريقي

قال : فقال له ابن أبي عتيق : يا حبيبي أَمْسِكْ عن هذا المديح

وضّاح اليَمَن

(الجزء الأول)

اخبار وضاح اليمن

نسبه ولقبه

وَضّاح لقب غلب عليه لجماله وبهـــائه ، واسمه عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبـد كُلال بن داذ بن أبي جَمَد . ثم يُختلف في تحقيق نسبه ، فيقول قوم : إنـه من اولاد الفرس الذين قَدِموا اليمَن مع وَهْرِز لنُصرة سيف بن ذي يَزَن على الحبشة .

ويزعُم آخرون أنـه من آل خَوْلان بن عمرو بن حِمْيَر بن سَبَإ ابن يَعْرُب وهو المرعف بن قَحطان .

فممن ذكر أنـه من حمير خالد بن كُلْثوم ، قال : كان وضّاح اليمن من أجمل العرب ، وكان أبوه إسماعيل من آل خَوْلان بن عمرو ابن معاوية الحِمْيريّ . فمات ابوه وهو طفل ، فانتقلت أُمه الى أهلها ، وانقضتْ عدّتها فتزوجت رجلا من أهلها من أولاد الفرس .

وشبّ وضّاح في حجر زوج أُمه . فجاء عمُّه وجدّتـه أُمُّ ابيه ، ومعهم جماعة من اهل بيته من حِمْيَر ثم من آل ذي قَيْفان[1] ثم من

---

١ ذو قفان . وذو جدن : من ملوك حمير المعروفين بالاذواء .

آل ذي جَدَن ، يطلبونه ، فادّعى زوج أمه أنه ولده . فحاكموه فيه واقاموا البيّنة أنه وُلد على فراش إسماعيل بن عبد كلال ابيه ، فحكم به الحاكم لهم ، وقد كان اجتمع الحميريّون والأبناء[1] في أمره وحضر معهم . فلما حكم بـه الحاكم للحميريين ، مسح يدَه على رأسه وأعجبه جماله وقال له : اذهب فأنت وضّاح اليمن ، لا من أتباع ذي يَزَن[2] (يعني الفُرْس الذين قدم بهم ابنُ ذي يَزَن لنصرته) فعَلِقَتْ به هذه الكلمة منذ يومئذ ، فلُقّب وضّاح اليمن . قال خالد : وكانت أُمّ داذ ابن أبي جَمَد جدّةُ وضاح كِنْديّةً ، فذلك حيث يقول في بنات عمه :

إنّ قلـــبي مُعلّق بنساء
واضحاتِ الخدود ، لَسْنَ بهُجْنِ[3]

من بنات الكريم دَاذَ ، وفي كندةَ
يُنسبنَ مـــن أباة اللّعْنِ

وقال أيضاً يفتخر بجَدّه أبي جَمَد :

بَنى لِيَ إسمـاعيلُ مجداً مُؤثّلًا ،
وعبدُ كُلال بعده ، وأبو جَمَـدْ

---

١ الابناء : هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن .
٢ هو سيف بن ذي يزن الذي استنصر الفرس على الاحباش .
٣ الهجن ، واحدتهن هجينة : وهي من كان أبوها عربياً وامها أمة .

وضاح يتقنع

كان وضّاح اليمن والمُقنّع الكِنديّ وأبو زُبَيد الطائي يَرِدون مواسمَ العرب مُقنّعين يستّرون وجوهَهم خوفاً من العين وحَذَراً على أنفسهم من النساء لجمالهم .

قال خالد بن كلثوم : فحدّثت بهذا الحديث مرّةً وأبو عُبيدة مَعْمَر بن المُثنّى حاضرٌ ذلك ، وكان يزعم أن وضّاحاً من الأبناء ؛ فقال أبو عُبيدة : داذ اسم فارسي .

فقلت له : عبد كلال اسمُ يمَانٍ ، وأبو جَمَد كنية يمانية ، والعجم لا تكتني ، وفي اليمن جماعة قد تسمّوْا بأبرَهة ، وهو اسم حبشيّ ، فينبغي أن تنسبهم الى الحبشة . وأيّ شيء يكون إذا سُمّي عربيّ باسم فارسيّ ! وليس كلّ من كُني أبا بكر هو الصدّيق ، ولا من سُمّي عُمَر هو الفاروق ، وإنما الأسماء علامات ودلالات لا توجب نسباً ولا تدفعه .

قال : فوجَم أبو عبيدة وأفحم فما أجاب .

وممن زعم أنه من أبناء الفرس ابنُ الكلبيّ ومحمد بن زياد الكِلابيّ .

وقال خالد بن كلثوم : إنّ أم إسماعيل أبي الوضّاح بنتُ ذي جَدَن ، وأم أبيه بنت قُرْعانَ ذي الدّروع الكِنْديّ من بني الحارث ابن عمرو .

أحب ولم يتزوج

وكان وَضّاحٌ يَهوى امرأةً من أهل اليمن يقال لها رَوْضة .

وذكر هشام بن الكلبيّ أنها رَوْضة بنت عمرو ، من ولد فُرْعانَ ذي الدروع الكِنْديّ .

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع عن عبد الله بن عَيّاش :

أنّ وضّاحاً هوي امرأةً من بنات الفُرس يقال لهـا روضة ؛ فذهبت بـه كل مذهب . وخطبهـا فامتنع قومها من تزويجه إياهـا ؛ وعاتبه أهله وعشيرته . فقال في ذلك :

يأيهـا القلبُ بعضَ ما تجِـدُ ،
قـد يعشَق المرءُ ثم يَتَّئِـدُ[1]

قد يكـتم المرءُ حبَّه حِقَبـاً ،
وهو عَميـــدٌ ، وقلبُـه كَمِدُ[2]

مـاذا تريدين من فتىً غزِلٍ ،
قد سَفَّه السُّقْمُ فيكِ والسَّهَدُ ؟

يهـــدِّدوني كـيما أخافَهُـمُ ؛
هيهـات أنّى يُهَـــدَّدُ الأسـدُ !

---

١ يتئد : يتأنى ، ويتمهل .

٢ حقباً ، واحدتها حقبة : المدة من الوقت . العميد : الذي هده العشق .

عشقه لروضة الكندية

أخبرني محمد بن المَرْزُبان عن الخليل بن أحمد قال : كان وَضّاحٌ يهوى امرأةً من كِنْدة يقال لها رَوْضة . فلما اشتهر امرُه معها خطبها فلم يُزوِّجها ، وزُوِّجت غيرَه ، فمكثت مدة طويلة . ثم أتاه رجل من بلدها فأمرّ اليه شيئاً فبكى . فقال له أصحابه : ما لك تبكي ؟ وما خبرك ؟

فقال : أخبرني هذا ان روضةَ قد جُذمت[1] ، وانه رآها قد أُلقيت مع المجذومين .

ولم نجد لهما خبراً يرويه اهلُ العلم إلا لُمَعاً يسيرةً واشياء تدلّ على ذلك من شعره ، فأمّا خبرٌ متصل فلم أجده إلا في كتاب مصنوع غثّ الحديث والشعر لا يُذْكَر مثلُه .

وأصابها الجُذام بعد ذلك ، فانقطع ما بينهما . ثم شُبّب بأم البنين بنت عبد العزيز بن مَرْوان زوجة الوليد بن عبد الملك ، فقتله الوليد لذلك . واخبارهما تُذكر في موضعها بعقب هذه الحكاية .

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال :

كان وضّاح اليمن يهوى امرأةً يقال لها روضة ويشبّب بها في شعره ، وهي امرأة من أهل اليمن . وفيها يقول :

---

١ جذمت : اصابها الجذام : مرض كالبرص يسبب تساقط اللحم والاعضاء .

يا رَوْضةَ الوضّاح ! قد
عَنَّيتِ وضّاحَ اليمنْ[1]

فاسقي خليلَكِ من شرابٍ ،
لم يكدْرْه الدُّرَنْ[2]

الريحُ ريح سَفَرْجَلٍ ،
والطعمُ طعم سُلافِ دَنْ[3]

إنّي تُهيّجني إليكِ
حمامتان عـلى فَنَنْ

قال مُصعَب : فحدثني بعض أهل العلم ممن كان يعرف خبر وضّاح مع روضةَ من أهل اليمن : أنّ وضّاحاً كان في سفر مع أصحابه . فبينا هو يسير إذ استوقفهم وعدَل عنهم ساعةً ، ثم عاد اليهم وهو يبكي . فسألوه عن حاله ؛ فقال : عدلتُ إلى روضةَ ، وكانت قد جُذمت فجُعِلتْ مع المجذومين ، وأُخرجت من بلدها ، فأصلحتُ من شأنها وأعطيتُها صَدْراً[4] من نفقتي .

وجعل يبكي غمّاً بها .

---

١ عنيت : حبست ، اسرت .

٢ الدرن : القذى ، الوسخ .

٣ السلاف : الخمرة . الدن : الخابية .

٤ الصدر : الطائفة من الشيء .

ومما قاله وضّاح في روضةَ المذكورة وفيه غناء ، وأنشدَنا حَرَميّ عن الزُّبَير عن عمه :

أيا روضةَ الوضّاحِ ، يا خيرَ رَوْضةٍ
لأهلكِ ، لو جادوا علينـا بمَنزِلِ

رهينُك وَضّاحٌ ذهبتِ بعقـله ،
فإن شئتِ فاحيبه ، وإن شئتِ فاقتلي

وتُوقِد حيناً باليَلَنْجُوج نارَها ؛
وتُوقِد أحياناً بمِسكٍ ومَنْدَلِ[1]

والأبيات الأول النونية فيها زيادة على مـــا رواه مصعب ، وفي سائرها غناء . وتمامُها بعد قوله :

« إني تُهيّجني اليـــكِ
حمامتان عـــلى فنَنْ »

الزوج يدعو إلفَـــهُ ،
فتطاعما حُبَّ السكنْ

لا خيرَ في نَثّ الحديث ،
ولا الجليس إذا فَطَنْ[2]

---

١ اليلنجوج : عود البخور . المندل : عود طيب الرائحة .
٢ نث الحديث : افشاؤه واذاعته .

فاعْصِي الوُشاةَ ، فإنما
قولُ الوشاة هو الغَبَنْ

إنّ الوُشاة ، إذا أتوكِ
تَنَصّحوا ، ونَهَوْكِ عنّ[1]

دَسّت حُبَيبةُ مَوْهِناً ؛
إني ، وعيشِكَ يا سَكَنْ[2] ،

أبلغتُ عنكَ تبدُّلاً ،
وأتى بذلك مُؤْتَمَنْ

وظننتُ أنكَ قد فعلتَ ،
فكِدْتُ من حَزَنٍ أُجَنّ

ذَرَفتْ دموعي ثم قلتُ :
بِمَنْ يبادلني بمن ؟

أسكُتْ ، فلستَ مُصدَّقاً ؛
ما كان يفعلُ ذا أظُنّ

إني ، وجَدِّكَ ، لو رأيتُ
خليلَنا ذاك الحسنْ

---

١ يريد : عني .
٢ السكن : ما يستأنس به .

يجفوه ثم يجئنا ؛
والله مِتُّ من الحَزَن !

أخبِرْه إما جئتَه :
أنّ الفؤاد به يُجَنّ

أبغضتُ فيه أحبّتي ،
وقَلَيْتُ أهلي والوطن[1]

أتركتني ، حتى إذا
عُلّقتُ أبيض كالشّطَن[2]

أنشأتَ تطلب وَصْلَنا ؛
في الصيف ضَيّعت اللبن[3]

ـ هكذا قال ، وغيره يرويه : « في الصيف ضيّعتِ اللبن » اي مذَقته[4] . قال : ـ

لو قبل يا وضّاحُ قم ،
فاختر لنفسك أو تَمَنّ

---

١ قليت : هجرت .

٢ الشطن : الحبل .

٣ في الصيف ضيعت اللبن : مثل مشهور يضرب لمن يطلب شيئاً قد فوته على نفسه .

٤ مذقته : مزجته .

لم أعْدُ رَوْضةَ ، والذي
ساقَ الحجيجُ له البُدُنْ[1]

وله في روضة هذه أشعار كثيرة في أكثرها صنعةٌ ، وبعضها لم يَقَع إليَّ أنه صُنِع فيه . فمن قوله فيها :

يا روضُ ! جيرانُكم الباكرُ ؛
فالقلبُ لا لاهٍ ، ولا صابرُ[2]

قالت : ألا لا تَلِجَنْ دارَنا !
إنَّ أبانا رجلٌ غائرُ

قلت : فإني طالبٌ غِرَّةً
منه ، وسَيفي صارمٌ باترُ

قالت : فإنَّ القَصْرَ من دوننا ؛
قلتُ : فإني فوقَه ظاهرُ

قالت : فإنَّ البحرَ مِنْ دوننا ؛
قلتُ : فإني سابحٌ ماهرُ

---

١ البدن ، واحدتها بدنة : وهي من الابل والبقر كالاضحية من الغنم تهدى الى مكة فتنحر بها ، وسميت بذلك لانهم كانوا يسمنونها .

٢ اراد في قوله : جيرانكم الباكر ان الآتي اليكم باكراً هو من جيرانكم ، وغير غريب عنكم .

قالت : فحَوْلي إخوةٌ سبعةٌ ؛
قلتُ : فإني غالبٌ قاهرُ

قالت : فليثٌ رابضٌ بيننا ؛
قلتُ : فإني أسدٌ عاقرُ

قالت : فإنَّ اللهَ من فوقنا ؛
قلتُ : فربي راحمٌ غافرُ

قالت : لقد أعييتَنا حُجَّةً ،
فأتِ إذا ما هجَع السَّامرُ[1]

فاسقُط علينا كسقوط النَّدَى ،
ليلةَ لا ناهٍ ولا زاجرُ

وقال في روضةَ وهو بالشام :

أبَتْ بالشام نفسي أن تطيبا ،
تذكّرتُ المنازلَ والحبيبا

تذكّرتُ المنازلَ من شَعوب ،
وحيّاً أصبحوا قُطِعوا شُعوبا[2]

سَبَوْا قلبي ، فحَلّ بحيثُ حلُّوا ،
ويُعظِمُ إن دَعَوْا ألاّ يُجيبا

---

١ السامر : اسم جمع بمعنى المتسامرين .
٢ شعوب : موضع قريب من صنعاء . واراد بقوله : قطعوا شعوبا : تمزقوا وتفرقوا .

ألا ليت الرياحَ لنـــا رسولٌ
اليـــكم ، إنْ شمالاً ، أو جَنُوبا

فتأتيكم بمـــا قلنـا سريعاً ،
ويَبلُغنا الذي قُلتُم قريبـــا

ألا يا روض ! قـد عذّبتِ قلبي ،
فأصبح مـــن تذكّرِكم كئيبا

ورقّقني هواكِ ، وكنتُ جَلْداً ،
وأبْدى في مَفـــارِقيَ المَشيبا

أمَا يُنسيكَ روضةَ شحطُ دار ،
ولا قربٌ ، إذا كانت قريبـــا ؟

ومما قال فيها ايضاً :

طَرِب الفؤاد لطَيْفِ روضةَ غاشي ،
والقومُ بين أباطِحٍ وعِشاشِ[1]

أنّى اهتديتِ ، ودون أرضكِ سَبْسبٌ
قَفْرٌ ، وحَزْنٌ في دُجىً ورِشاشِ[2]

---

١ الغاشي : اراد به الزائر . العشاش ، واحدتها عشة : الارض القليلة الشجر .

٢ السبسب : المفازة . الحزن : ما غلظ من الارض وقلما يكون الا مرتفعاً . الدجى ، واحدتها دجية : الظلمة . الرشاش ، واحدها رش : المطر القليل .

قالت : تكاليفُ المحبِّ كلفتُها ،
إنّ المُحبّ ، إذا أُخيف ، لَماشي[1]

أدعوكِ روضةَ رحبَ ، واسمُك غيرُه ،
شَفَقاً ، وأخشى أن يَشي بكِ واشي

قالت: فزُرْنا ! قلتُ: كيف أزورُكم ،
وأنا امرؤ لخُروجِ سرّك خاشي ؟

قالت : فكُنْ لعُمومتي سِلْماً معاً ،
والطُفْ لإخوتيَ الذين تُماشي

فتزورنا معهم زيارةَ آمنٍ ،
والسرُّ ، يا وضّاح ، ليس بفاشي

ولَقيتُها تمشي بأبطَحَ مرّةً ،
بخلاخلٍ ، وبحُلّةٍ أكْباشِ[2]

فظلِلْتُ معموداً ، وبتّ مُسَهَّداً ،
ودموعُ عيني في الرداء غَواشي[3]

---

١ أراد بالماشي : المار بسرعة .

٢ الاكباش : من برود اليمن .

٣ المعمود : كالعميد ، الذي هده العشق . المسهد : الساهر . غواشي ، واحدتها غاشية : يريد ان دموع عينيه تحن في ردائه ، اي تبلله .

يا روضُ حبُّكِ سَلَّ جسمي ، وانتحى
في العَظمِ ، حتى قـد بلَغتِ مُشاشي[1]

ومما قال فيها ايضاً :

طَرَق الخيـالُ ، فمرحبـاً سهلا
بخيال مَنْ أهدى لنـــا الوصْلا

وسَرى إليّ ، ودون منزله
خمسٌ دوائمُ ، تُعمِل الإبْلا

يا حبّـذا مَـنْ زار معتسفاً
حَزْنَ البلاد إليّ ، والسَّهْلا[2]

حتى ألمّ بنـــا ، فبِتُّ بـــه
أغْنى الخـــلائق كلّهم شَمْلا

يا حبذا هي حسبك قـدك في ،
والله مـــا أبقيت لي عقلا[3]

والله مـا لي عنكِ مُنْصَرَفٌ ،
إلا إليـــكِ ، فأجْمِلي الفِعْلا

---

١ المشاش ، واحدتها مشاشة : النفس ورؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين.
٢ معتسفاً : خابطاً في طريقه على غير هداية .
٣ الشطر الاول من هذا البيت مختل الوزن غامض المعنى .

ام البنين تهواه

أخبرني محمد بن المَرْزُبان عن لَقيط والهَيْثم بن عَدِيّ : أنّ أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان استأذنت الوليدَ بن عبد الملك في الحج فأذِن لها ، وهو يومئذ خليفة وهي زوجته . فقدمت مكة ومعها من الجواري ما لم يُرَ مثلُه حسناً . وكتب الوليدُ يتوعّد الشعراء جميعاً إن ذكرها أحدٌ منهم أو ذكر احداً ممن تَبِعها . وقدِمتْ ، فتراءت للناس ، وتصدّى لها أهلُ الغَزَل والشعر ، ووقعتْ عينُها على وَضّاح اليمن فهَوِيتْه .

فحدّثنا الحرَميّ بن أبي العلاء عن بُدَيح قال :

قَدِمتْ أمُّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان وهي عند الوليد بن عبد الملك حاجّةً ، والوليدُ يومئذٍ خليفة . فبعثتْ الى كُثَيِّر والى وضّاح اليمن أن انسُبا بي . فأما وضّاح اليمن فإنه ذكرها وصرّح بالنَّسيب بها ؛ فوجَد الوليدُ عليه السبيلَ فقتله . وأمّا كُثَيِّر فعدَل عن ذكرها ونسَب بجارِيتها غاضِرة فقال :

شجا أظعانُ غاضرةَ الغَوادي ،
بغير مَشُورة ، عَرَضاً فؤادي

أغاضرَ ، لو شهدتِ غداةَ بِنتم
حُنُوَّ العائدات على وِسادي

أوَيْتِ لعاشقٍ لم تشكُميه
بواقدةٍ تلذّع كالزنادِ[1]

قال بُدَيح : فكنتَ لما حجّتْ أم البنين لا تشاء أن ترى وجهاً حسناً إلا رأيتَه معها. فقلت لعُبيد الله بن قيس الرُّقَيّات : بمن تشبِّب من هذا القَطين ؟ فقال لي :

وما تصنع بالسِرّ ،
إذا لم تكُ مجنونا

إذا عالجتَ ثِقْل الحبّ
عالجت الأمَرّينا[2]

وقد نُجتَ بأمرٍ كان
في قلبيَ مكنونا

وقد هِجْتَ بما حاولْتَ
أمراً كان مدفونا

قال : ثم خلا بي فقال لي : اكتُم عليّ ، فإنك موضع للأمانة ؛ وأنشدني :

---

١ أويت لعاشق : رثيت له وأشفقت عليه . لم تشكميه : لم تجزيه .

٢ الامرين : الدواهي .

أصحوتَ عن أُمّ البنينَ
وذكرِها وعَنائِها

وهجرتَها هجرَ امرىء ،
لم يَقْلُ صفوَ صفائِها

قُرشيّةٌ ، كالشمس أشرقَ
نورُها ببهائِها

زادتْ على البِيض الحِسان
بحسنِها ونقائِها

لمّا اسبكرّتْ للشباب ،
وقَنّعت بردائِها

لم تلتفت لِلداتِها ،
ومضتْ على غُلوائِها

لولا هَوَى امّ البنينَ ،
وحاجتي للقائِها

قد قُرّبت لي بغلةٌ
محبوسة لنَجائِها

قال بُدَيح : فلما قَتَل الوليدُ وضّاحَ اليمن ، حجّتْ بعد ذلك أمُّ

البنين محتجبةً لا تكلّم أحداً ؛ وشخصتُ كذلك ، فلقيني ابنُ قيس الرقيّات ، فقال : يا بديح ،

بان الحبيبُ الذي به تَثِقُ ،
واشتدّ دونَ الحبيبةِ القَلَقُ

يا من لصَفْراء ، في مفاصِلِها ،
لِينٌ ، وفي بعضِ بطشِها خُرُقُ

وهي قصيدة قد ذُكرتْ مع أخبار ابن قيس الرقيّات .

أخبرني الحرميّ عن عبد الله بن أبي عُبيدة قال حدثني كُثَيِّر قال : حججتُ مع أمِّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، وهي زوجة الوليد بن عبد الملك ، فأرسلتْ إليّ وإلى وضّاح اليمن أن انسُبا بي ؛ فهِبْتُ ذلك ونسَبت بجاريتها غاضرةَ ، فقلت :

شجا أظعانُ غاضرة الغَوادي ،
بغير مَشُورة ، عَرَضاً فؤادي

أغاضرَ لو شهدتِ ، غداةَ بِنْتم ،
حُنُوَّ العائداتِ على وسادي

أوَيْتِ لعاشقٍ لم تشكُميه
بوافدةٍ تلذّع كالزنادِ

وأمّا وضّاح فنسَب بها ، فبلغ ذلك الوليدَ فطلبه فقتله .

مدحه للوليد

أخبرني عمّي عن العُتْبيّ قال :

مدح وضّاحُ اليمن الوليدَ بن عبد الملك ، وهو يومئذٍ خليفة ، ووعدتْه أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن تُرْفِده[1] عنده وتقوّيَ أمره . فقدِم عليه وضّاح وأنشده قولَه فيه :

صبا قلبي ومال إليكِ مَيْلا ،
وأرّقني خيالكِ يا أُثَيْلا[2]

يمانيةٌ تُلِمّ بنا ، فتُبْدِي
دقيقَ محاسنٍ ، وتُكِنّ غَيْلا[3]

دَعِينا ، ما أمتْ بناتِ نَعْشٍ ،
من الطَّيْف الذي يَنتاب ليلا[4]

ولكنْ إن أردتِ فصبِّحينا ،
إذا أمّتْ ركائبُنا سُهَيلا[5]

---

١ ترفده : تعينه .

٢ اثيل : ترخيم أثيلة ، وهو اسم امرأة .

٣ تكن : تستر . الغيل : الماء الريان المتلىء .

٤ بنات نعش : من الكواكب الشامية . يقول : دعيني من طيفك حين أؤم بنات نعش ، أي حين أقصد الشام للغزو .

٥ اراد بسهيل : اليمن ، لان سهيلا نجم يماني . واراد بقوله : اذا أمت ركائبنا سهيلا ، اذا اتجهت ركائبنا نحو اليمن .

فإنك لو رأيتِ الخيلَ تعدو،
سِراعاً ، يتخذن النَّقْعَ ذَيْلا[1]

إذاً لرأيتِ فوقَ الخيلِ أُسْداً
تُفيد مغانماً ، وتُفيتُ نَيْلا[2]

إذا سار الوليدُ بنا وسِرْنا
إلى خيل ، نَلُفُّ بهنَّ خَيْلا

ونَدخل بالسرور ديارَ قومٍ ،
ونُعقِب آخرين أذىً ووَيْلا

فأحسن الوليد رِفْدَه وأجزل صلتَه . ومدحه بعدّة قصائد . ثم نُمي إليه أنه شَبّب بأم البنين ، فجفاه وأمر بأن يُحجب عنه ، ودبر في قتله .

ومدحه وَضّاح بقوله أيضاً :

ما بالُ عينِكَ لا تنام ، كأنما
طلب الطبيبُ بها قَذًى فأضلَّهُ

بل ما لقلبِك لا يزال ، كأنه
نَشْوانُ أنهله النديمُ وعَلَّهُ[3]

---

١ النقع : غبار الحرب .

٢ تفيت نيلا : تجعل اعداءها لا تنال شيئاً من المغانم التي تفيدها .

٣ أنهله : سقاه النهل ، اول الشرب . عله : سقاه ثانية .

ما كنت أحسَب أن أبيتَ ببلدة ،
وأخي بأخرى لا أحُـلُّ محلَّهُ

كنّا ، لعَمْرُك ، ناعمين بغبطة
مع ما نُحبّ مَبيتَه ومَظَلَّهُ

فأرى الذي كنّا وكان بغِرّة ،
نلهو بغِرّتـه ونهوَى دَلَّهُ

كالطيفِ وافق ذا هوًى فلها به ،
حتى إذا ذهب الرقـادُ أضلَّهُ

قل للذي شعَف البلاءُ فؤادَه :
لا تُهلِكنّ أخاً ، فربّ أخ لهُ[1]

والقَ ابن مَروان الذي قد هزّه
عِرق المكارم والنّـدى ، فأقلَّهُ

واشكُ الذي لاقيته من دونـه ،
وانشُرْ إليـه داءَ قلبـك كلَّهُ

فعلى ابن مَرْوانَ السلامُ من امرىء
أمسى يذوق ، من الرُّقاد ، أقلَّهُ

---

١ شعفه : غشي قلبه وغلبه .

شوقاً إليكَ ، فما تَنالُك حالُه ،
وإذا يَحُلّ البابَ لم يُؤذن لهُ

فإليك أعملتُ المطايا ضُمَّراً ،
وقطعتُ أرْواحَ الشتاء وظِلَّهُ

ولياليًا ، لو أنّ حاضرَ بَثّها
طرفُ القضيب أصابَه لأسْلَّهُ

فلم يزل مجفُوًّا حتى وجَد الوليد له غِرَّة ، فبعث اليه مَن اختلسه ليلًا فجاءه به ، فقتله ودفنه في داره ، فلم يُوقف له على خبر .

قتل الوليد له

وقال خالد بن كلثوم في خبره : كان وضّاح قد شبّب بأم البنين بنت عبد العزيز بن مَرْوان امرأة الوليد بن عبد الملك ، وهي ام ابنه عبد العزيز بن الوليد ، والشرفُ فيهم . فبلغَ الوليدَ تشبُّبُه بها ، فأمر بطلبه فأتي به ، فأمر بقتله .

فقال له ابنه عبد العزيز : لا تفعل يا أمير المؤمنين فتحقّقَ قولَه ، ولكن افعل به كما فعل معاوية بأبي دَهْبَل ؛ فإنه لمّا شبّب بابنته شكاه يزيد وسأله أن يقتله ؛ فقال : إذاً تحقّق قولَه ، ولكن تَبَرُّه وتحسن إليه فيستحي ويَكُفُّ ويكذّب نفسه .

فلم يقبل منه ، وجعله في صندوق ودفنه حياً .

فوقع بين رجل من زنادقة الشُّعُوبيّة وبين رجل من ولد الوليد فخارٌ خرجا فيه الى أن أغلظا المُسابّة ، وذلك في دولة بني العبّاس، فوضع الشُّعُوبيّ عليهم كتاباً زعم فيه أن أم البنين عشِقتْ وضّاحاً، فكانت تُدخله صندوقاً عندها . فوقف على ذلك خادم الوليد فأنهاه إليه وأراه الصندوق ، فأخذه فدفنه .

هكذا ذكر خالد بن كلثوم والزُّبَير بن بَكّار جميعاً .

وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش عن ابن الكلبيّ قال :

عَشِقتْ أمُّ البنين وضّاحاً ، فكانت تُرسل اليه فيدخل اليها ويقيم عندها ؛ فإذا خافت وارتْه في صندوق عندها وأقفلتْ عليه .

فأهدي للوليد جَوْهر له قيمة فأعجبه واستحسنه ، فدعا خادماً له فبعث به معه الى أم البنين وقال : قل لها : إن هذا الجوهر أعجبني فآثرتُكِ به .

فدخل الخادم عليها مفاجأةً ووضّاح عندها ، فأدخلتْه الصندوقَ وهو يرى ، فأدّى اليها رسالة الوليد ودفع اليها الجوهر ، ثم قال : يا مولاتي ، هَبيني منه حجراً .

فقالت : لا ، يابنَ اللَّخْناء ولا كرامة .

فرجع الى الوليد فأخبره ؛ فقال : كذبتَ يابنَ اللخناء ! وأمَر به

فوُجِئَتْ[1] عنقه . ثم لبس نعليه ودخل على ام البنين وهي جالسة في ذلك البيت تمتشط . وقد وصف له الخادم الصندوق الذي أدخلته فيه ، فجلس عليه ثم قال لها : يا أُم البنين ، ما أحبَّ اليكِ هذا البيتَ من بين بيوتك ! فلمَ تختارينه ؟

فقالت : أجلس فيه وأختاره لأنه يجمع حوائجي كلَّها فأتناولها منه كما اريد من قرب .

فقال لها : هَبي لي صندوقاً من هذه الصناديق .

قالت : كلُّها لك يا أمير المؤمنين .

قال : ما اريدها كلَّها وإنما اريد واحداً منها .

فقالت له : خذ أيَّها شئتَ .

قال : هذا الذي جلستُ عليه .

قالت : خذ غيرَه فإن لي فيه أشياء أحتاج اليها .

قال : ما اريد غيره .

قالت : خُذْه يا أمير المؤمنين .

فدعا بالخدَم وأمرهم بحمله ، فحمله حتى انتهى به إلى مجلسه فوضعه فيه . ثم دعا عبيداً له فأمرهم فحفروا بئراً في المجلس عميقةً ، فنُحّي البِساط وحُفرت إلى الماء . ثم دعا بالصندوق فقال : يا هذا إنه بلغنا شيء إن كان حقّاً فقد كفَّنّاك ودفنّاك وقطعنا أثرك

---

١ وجئت : شفت .

إلى آخر الدهر ، وإن كان باطلاً فإنا دفنّا الخشب ، وما أهونَ ذلك !

ثم قُذِف به في البئر وهِيل عليه التراب وسُوِّيت الأرض ورُدّ البساط إلى حاله وجلس الوليد عليه . ثم ما رُئي بعد ذلك اليوم لوضّاح أثر في الدنيا الى هذا اليوم .

قال : وما رأتْ أمّ البنين لذلك أثراً في وجه الوليد حتى فرّق الموت بينهما .

شعره في مرض ام البنين

أخبرني الحسن بن عليّ قال : مَرِضت أم البنين ووضّاحٌ مُقيم بدمشق ، وكان نازلاً عليها ، فقال في علّتها :

حتّامَ نَكتُم حزنَنا حتّامَا ؟
وعَلامَ نستبقي الدموعَ علامَا ؟

إن الذي بي قد تفاقم واعتلى ،
ونما وزاد وأوْرَث الأسقاما

قد أصبحت أمُّ البنين مريضةً ،
نَخشى ونُشفقُ أن يكون حِماما

يا ربّ أمْتِعْني بطولِ بقائها ،
واجبُر بها الأرمالَ والأيتاما

واجبُر بها الرجلَ الغريب بأرضها ،
قد فارق الأخوالَ والأعماما

كم راغبين وراهبين وبُؤّسٍ
عُصموا ، بقرب جَنابها ، إعصاما

بجناب ظاهرة الثّنا محمودةٍ ،
لا يُستطاع كلامُها إعظاما

يشبب بفاطمة بنت عبد الملك

أخبرني الحسن بن عليّ قال : بلغ الوليدَ بن عبد الملك تشبُّبُ وضّاح بأمّ البنين فهَمّ بقتله . فسأله عبد العزيز ابنُه فيه ، وقال له : إن قتلته فضحتَني وحقّقتَ قوله ، وتوهّم النّاسُ أن بينه وبين أمي ريبة .

فأمسك عنه على غيظ وحَنَق ، حتى بلغ الوليدَ أنه قد تعدّى أمّ البنين إلى أخته فاطمةَ بنت عبد الملك ، وكانت زوجةَ عمرَ بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ، وقال فيها :

بنتُ الخليفة ، والخليفة جدُّها ،
اختُ الخليفة ، والخليفة بعلُها

فَرِحَتْ قوابلُها بها وتباشرتْ ؛
وكذاك كانوا في المَسرّة أهلُها[1]

فأحْنق[2] واشتدّ غيظه وقال : أما لهذا الكلب مُزْدَجَرٌ عن ذكر نسائنا وأخواتنا ، ولا له عنّا مذهب ؟

ثم دعا به فأحضر ، وأمر ببئر فحُفرتْ ودفَنه فيها حيّاً .

يفتي لنفسه

أخبرني الحرَميّ بن أبي العلاء عن يوسف بن الماجِشون قال : أنشدتُ محمدَ بن المنكدِر قولَ وضّاح :

فما نوّلتْ ، حتى تضرّعتُ عندها ،
وأعلمتُها ما رخّص اللهُ في اللَّمَم[3]

قال : فضحك وقال : إن كان وضّاح إلا مُفْتِياً لنفسه . وقام هذه الأبيات :

ترجّلَ وضّاحٌ ، وأسْبل ، بعدما
تكَهّل حيناً في الكهول ، وما احتَلَمْ[4]

---

١ القابلة : المرأة التي تأخذ الولد عند الولادة .
٢ أحنق : حقد حقداً لا ينحل .
٣ اللمم : الطرف من الجنون .
٤ ترجل : سرح شعره . احتلم الصبي : ادرك .

وعُلّق بيضاءَ العوارضِ ، طَفْلةً ،
مُخضّبة الأطراف ، طيّبةَ النّسَم[1]

إذا قلتُ يوماً : نَوّليني تبسّمتْ ،
وقالت : مَعاذَ الله مِن فِعْل ما حَرُمْ !

فما نَوّلتْ ، حتى تضرّعتُ عندها ،
وأعلمتُها ما رَخّص اللهُ في اللّمَم

رثاؤه لابيه واخيه

كان وضّاح مقيماً عند أم البنين ، فورد عليه نعيُ أخيه وأبيه ؛ فقال يرثيهما :

أراعَك طائرٌ ، بعد الخُفوقِ ،
بفاجعةٍ مُشنّعة الطُّروقِ[2]

نعمْ ! وَلهاً على رجل عَميدٍ ،
أظَلُّ كأنني شَرِقٌ بريقي[3]

---

١ الطفلة : الناعمة .

٢ الخفوق : اضطراب البرق ، وغياب النجم ، وذهاب اكثر الليل .

٣ ولهاً : حزناً . العميد : السيد . الشرق : الغاص .

كأني ، إذ علمتُ بها هُدُوّاً ،
هوتْ بي عاصفٌ من رأس نيقِ[1]

أعَلُّ بزَفْرةٍ ، من بعد أُخرى ،
لها في القلب حرّ كالحريقِ

وتَردُف عَبْرةٌ تهتانَ أُخرى ،
كفائض غَرْبِ نَضّاحٍ فَتيقِ[2]

كأني ، إذ أُكَفْكِفُ دمعَ عيني ،
وأنْهاها ، أقولُ لها : هَريقي[3]

ألاَ تلك الحوادث غِبْتُ عنها ،
بأرض الشام ، كالفردِ الفريقِ

فما أنفكُّ أنظرُ في كتابٍ ،
تُداري النفسُ عنه هوى زَهوقِ[4]

يُخبِّر عن وفاة أخٍ كريم ،
بعيد الغور ، نَفّاعٍ ، طَليقِ

---

١ النيق : أعلى موضع في الجبل .
٢ الغرب : الدلو الكبيرة . النضاح : الكثير رشح الماء . الفتيق : المفتوق
٣ هريقي : صبي دمعك .
٤ الزهوق : الهالك .

وقَرْمٍ يُعرِض الخُصمانُ عنه ،
كما حاد البِكارُ عَنِ الفَنِيقِ[1]

كريم يملأ الشِّيزَى ، ويَقْري ،
إذا ما قلّ إيماضُ البروقِ[2]

وأعظم ما رُميتُ به ، فَجُوعاً ،
كتابٌ جاء من فَجٍّ عميقِ[3]

يُخَبِّر عن وفاة أخٍ ، فصبراً
تَنَجَّزْ وعدَ مَنّانٍ صَدوقِ

سأصبر للقضاء ، فكلُّ حيّ
سيلقى سَكرة الموت المَذوقِ

فما الدنيا بقائمةٍ ، وفيها
من الأحياء ذو عِنٍ رَموقِ

وللأحياء أيّامٌ تَقَضّى ،
يَلُفّ ختامُها سُوقاً بسوقِ

---

١ البكار ، واحدها بكر : الفتي من الابل . الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب . والخصمان جمع خصيم وهو الخصم .

٢ الشيزى : خشب أسود تعمل منه القصاع ، يريد انه يطعم حينما يقل المطر ويشتد الضيق .

٣ الفجوع : الفاجع .

فأغناهم كأعدمِهم ، إذا ما
تقضّتْ مُدّةُ العيش الرقيقِ

كذلك يُبعثون ، وهم فُرادَى ،
ليومٍ ، فيه تَوْفيةُ الحُقوقِ

أبَعدَ هُمامِ قومِك ذي الأيادي ،
أبي الوضّاح ، رَتّاقِ الفُتوقِ

وبعدَ عُبيدةَ المحمودِ فيهم ،
وبعدَ سَماعَةَ العَوْدِ العَتيقِ[1]

وبعد ابن المفضّل وابن كافٍ ،
هما أخواك في الزمن الأنيقِ

تؤمّل ان تعيش قريرَ عين ،
وأين ؟ أمامَ طَلاّبٍ لَحُوقِ[2]

ودنياك ، التي أمسيتَ فيها ،
مزايلةُ الشقيقِ عن الشقيقِ

ومما قاله في مَرْثِيَة أهله وذكْر الموت وعُنْتي فيه — وإنما نذكر منها ما فيه غناء لأنها طويلة :

---

١ العود : المسن من الابل ، وكان التشبيه به مدحاً في ايامهم .

٢ الطلاب اللحوق : الموت .

ما لكَ وضّاحُ دائمَ الغَزَلِ ،
ألستَ تخشى تَقارُبَ الأجلِ ؟

صَلِّ لذي العرش ، واتّخذ قَدَماً
تُنجيكَ يومَ العِثار والزّلَلِ

يا موتُ ! ما إن تزال معترضاً
لآملٍ دون منتهى الأملِ

لو كان مَنْ فرّ منك منفلتاً ،
إذاً لأسرعتُ رِحلةَ الجَمَلِ

لكنّ كفّيْك نال طولُهما
ما كَلّ عنه نجائبُ الإبلِ

تنال كفّاك كلّ مُسْهِلة ،
وحُوتَ بحرٍ ومَعْقِلَ الوَعِلِ

لولا حِذاري من الحُتُوف ، فقد
أصبحتُ من خوفِها على وَجَلِ

لكنتُ للقلبِ في الهوى تَبَعاً ،
إنّ هواه ربائبُ الحَجَلِ[1]

---

١ الربائب ، واحدتها ربيبة : المربّاة . الحجل ، واحدتها حجلة : ستر يضرب للعروس في البيت . وربائب الحجل : النساء .

حِرْميّة ، تسكن الحجازَ ، لها
شيخٌ غَيور ، يعتلّ بالعِلَلِ[1]

عُلّق قلبي ربيبَ بيت ملوكٍ ،
ذاتَ قُرطين وَعْثَةَ الكَفَلِ[2]

تَفْتَرُّ عن مَنْطِقٍ تَضَنّ به ،
يَجري رُضاباً كذائب العسلِ

شعره في حبابة

أخبرني الحسن بن عليّ عن مُصْعَب قال :

قال وضّاح اليمن في حَبابة جارية يزيد بن عبد الملك ، وشاهدها بالحجاز قبل أن يشتريها يزيد وتَصير إليه ، وسمع غناءها فأعجب بها إعجاباً شديداً :

يا مَنْ لقلبٍ لا يُطيع
الزاجرين ، ولا يُفيقْ

تسلو قلوبُ ذوي الهوى ،
وهو المكلّف والمَشوقْ[3]

---

١ حرمية : نسبة الى الحرم .

٢ يقال : الوعثة : كثيرة اللحم .

٣ المكلف : الشديد الولوع .

تَبَلَتْ حَبابةُ قلبَه
بالدَّلّ ، والشكل الأنيق[1]

وبعينِ أحورَ يرتعي
سَقْطَ الكثيب من العقيق[2]

مكحولة بالسحر ، تُنْشي
نِشوةَ الخمرِ العَتيقْ

هيفاء ، إن هي أقبلتْ ،
لاحت كطالعةِ الشروقْ

والرِّدفُ مثلُ نقاً ، تلبّد
فهْو زُحلوق زَلُوق[3]

في درّة الأصداف معتنقاً
بها رَدْع الخَلوق[4]

دَاوِي هوايَ ، وأطْفئي
ما في الفؤاد من الحريقْ

---

١ تبلت : أسقمت .

٢ سقط الكثيب : منقطعه . العقيق : كل مسيل ماء شقه السيل .

٣ النقا : القطعة من الرمل .

٤ الردع : اثر الطيب في الجسد . الخلوق : ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن اعظم اجزائه من الزعفران .

وترفّقي ، أمَـلي ، فقـد
كلّفتِني مـا لا أُطيقْ

في القلب منك جوَى المُحبّ ،
وراحـةُ الصبّ الشفيقْ

هـــذا يقود برُمّتي
قوداً إليـك ، وذا يسوق[1]

يا نفسُ ! قـد كلّفتِني
تَعبَ الهوى منها ، فذوقْ[2]

إن كنتِ تائقـةً لحـرّ
صبابـة منهـا ، فتُوقْ[3]

من شعره في روضة

ومما قاله في روضة وفيه غناء قوله :

يا لَقومي لِكثرة العـذّالِ ،
ولطَـيفٍ سرى مليحِ الدّلالِ !

---

١ الرمة : قطعة حبل يشد بها .

٢ اراد فذوقي ، فحذف الياء لضرورة القافية .

٣ اراد فتوقي ، فحذف الياء لضرورة القافية .

زائرٌ ، في قصورِ صنعاءَ ، يسْري
كلَّ أرض مخوفةٍ وجبالِ

وهذه الابيات من قصيدة له في روضة طويلة جيدة يقول فيها :

يقطع الحَزْن والمَهامِهَ والبِيد ،
ومِنْ دونه ثمانُ ليالي

عاتبٌ في المنام ، أحْبِبْ بعُتْباه
إلينا ، وقولِه مِنْ مَقالِ

قلت : أهلًا ومرحباً عَددَ القَطْر ،
وسهلًا بطَيفِ هذا الخَيالِ

حبّذا مَنْ إذا خلونا نَجِيّاً
قال : أهلي لك الفِداء ومالي

وهي الهمّ والمُنى وهوى النفْس ،
إذا اعتلّ ذو هوًى باعتلالِ

قِسْتُ ما كان قبلنا من هوى
الناس ، فما قِسْتُ حبَّها بمثالِ

لم أجد حبَّها يُشاكلُه الحبّ ،
ولا وَجْدَنا كوَجْد الرجالِ

كلُّ حبٍّ ، إذا استطال سيبلى ،
وهوَى روضةِ المُنى غيرُ بالي

لم يَزِدْه تقادُمُ العهد ، إلاّ
جِدّةً عندنا ، وحسنَ احتلالِ

أيها العاذلون كيف عتابي ،
بعدما شاب مَفْرِقي وقَذالي[1] ؟

كيف عَذْلي على التي هي منّي
بمكان اليَمين ، أختِ الشّمالِ

والذي أحْرموا له وأحلّوا
بِنِيَ ، صُبْحَ عاشراتِ الليالي[2]

ما ملكتُ الهوى ولا النفسَ منّي ،
منذ عُلّقتُها فكيفَ احتيالي

إن نأتْ كان نأيُها الموتَ صِرْفاً ،
أو دنتْ لي فثَمّ يبدو خَبالي

يابنةَ المالكيّ ، يا بَهْجة النفس ،
أفي حبّكم يَحِلُّ افتتالي ؟

---

١ القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .
٢ يريد صبح الليلة العاشرة من ذي الحجة .

أيّ ذنب عليّ إن قلتُ : إني
لأحِبُّ الحجازَ حبّ الزُّلالِ

لأحِبّ الحجازَ مِنْ حبّ مَنْ فيه ،
وأهوى حِلالَه من حِلالِ[1]

ما غني به من شعره

ومما فيه غناء من شعر وضاح :

أيها النّاعِبُ ماذا تقولُ ؟
فكِلانا سائلٌ ومَسولُ

لا كساكَ الله ما عشتَ ريشاً ،
وبخوفٍ بتّ ، ثَمّ تقيلُ[2]

ثم لا أنْقَفْتَ في العُشّ فرخاً ،
أبداً ، إلا عليك دليلُ[3]

حين تُنبي أنّ هنداً قريبٌ ،
يبلُغ الحاجاتِ منها الرسولُ

---

١ الحلال ، واحدتها حلة : المحلة ، أو القوم النزول .

٢ تقيل : من القيلولة وهي نومة نصف النهار .

٣ أنقف الفرخ : استخرجه من البيضة .

ونأت هنـد ، فخَبَّرْتَ عنها ،
أن عهـد الودّ سوف يزولُ

•

حيّ التي أفنى فؤادِكَ حلّتِ ،
علمتْ بأنـك عاشقٌ فأدلّتِ [1]

وإذا رأتك تقلقلتْ أحشاؤهـا ،
شوقاً إليك ، فأكثرتْ وأقلّتِ

وإذا دخلتَ ، فأغلقتْ أبوابُها ،
عزمَ الغيورُ حجابَها ، فاعتلّتِ [2]

وإذا خرجتَ بكتْ عليكَ صبابةً ،
حتى تَبُلّ دموعُهـا ما بَلّتِ

إن كنتَ ياوضّاحُ زرتَ فمرحباً ،
رَحُبَت عليـك بلادُنا وأظلّتِ

•

١ أدلت عليه : وثقت بمحبته فاجترأت عليه .
٢ عزم حجابها : عقد ضميره عليه . اعتلت : تجنت عليه أو تمارضت

أتعرف أطلالاً بمَيْسرة اللّوى ،
الى أرْعبٍ قد حالفتك به الصَّبا[1]

فأهلاً وسهلاً بالتي حلّ حبُّها
فؤادي، وحلّت دارَ شَحْطٍ من النَّوى

وهذه ابيات يقولها لأخيه سَماعةَ ، وقد عتَب عليه في بعض الأمور ، وفيها يقول :

أبادر دُرْنُوكَ الأمير وقُربَه ،
لأذكرَ في أهْل الكرامة والنُّهى[2]

وأتّبِع القُصّاصَ ، كلَّ عشيّة ،
رجاءَ ثواب الله في عَدد الخُطا

وأمستْ بقصر ، يضرب الماءُ سورَه ،
وأصبحتُ في صنعاء ألتمس النَّدى

فمَن مُبْلِغٌ عني سماعةَ ناهياً ،
فإن شئتَ ، فاقطعنا كما يُقْطَع السَّلى[3]

---

١ أرعب : موضع .

٢ الدرنوك : الطنفسة وضرب من البسط أو الثياب له خمل قصير كخمل المناديل .

٣ السلى : الجلدة التي يكون فيها الجنين من الناس والمواشي ، فان انقطع في البطن هلكت الام وهلك الجنين .

وإن شئتَ وصلَ الرَّحْم ، في غير حيلةٍ ،
فعلنا ، وقُلنا للذي تشتهي : بَلَى

وإن شئتَ صُرماً للتفرُّق والنّوى ،
فبُعْداً أدامَ الله تفرِقةَ النّوى

•

طرَق الخيالُ ، فمرحباً ألفَا ،
بالشاغفات قلوبَنا شَغْفا

ولقد يقول ليَ الطبيبُ ، وما
نَبّأتُه من شأنِنا حَرفا :

إني لأحسبُ أنّ داءَك ذا
مِن ذي دَمالجَ يخضِب الكفّا

إني أنا الوضّاحُ ، إنْ تَصِلي ،
أُحسِنْ بك التشبيبَ والوَصْفا

شطّتْ ، فشفّ القلبَ ذِكْرُ كَها ،
ودنتْ فما بذَلتْ لنا عُرْفا

•

ويُروى لبشّار —

يا مرحباً ألفاً ، وألفا ،
بالكاسراتِ إليّ طَرْفا

رُجْحِ الرَّوادفِ، كالظِّباءِ،
تعرَّضتْ حُوّاً ووُطْفا[1]

أنكرنَ مركبيَ الحِمارَ،
وكنَّ لا يُنكرن طِرْفا[2]

وسألنني: أينَ الشبابُ؟
فقلتُ: بانَ وكان حِلْفا!

أفنَى شبابي، فانقضى،
حِلْفُ النساء تَبِعن حِلْفا

أعطيتهنَّ مودَّتي،
فجزينَني كَذِباً وخُلْفا

وقصائدٌ، مثلُ الرُّقى،
أرسلتُهن، فكنَّ سَفْفا

أوجعن كلَّ مُغازِلٍ،
وعَصَفْن بالغَيَوانِ عَصْفا

---

١ الحو، واحدتها حواء: السمراء الشفة. الوطف، واحدتها وطفاء: كثيرة شعر أهداب العينين.

٢ الطرف: الكريم من الخيل.

من كلِّ لذّاتِ الفتى ،
قد نلتُ نائلةً وعُرْفا

صِدتُ الأوانسَ كالدُّمى ،
وسقيتُهنّ الخمرَ صِرْفا

•

وهذه القصيدة تجمع نسيبَه بمن ذكر وفخرَه بأبيه وجدّه أبي جَمَد :

أُغنّي على بيضاءَ ، تَنْكلّ عن بَرَدْ ،
وتمشي على هَوْن كمِشْيَة ذي الحَرَدْ[1]

وتلبَس من بَزّ العراق مَناصِفاً ،
وأبرادَ عَصْب من مُهَلْهَلةِ الجَنَدْ[2]

إذا قلت يوماً ، نَوّليني ! تبسّمتْ
وقالت : لعمرُ اللهِ لو أنه اقتَصدْ

سموتُ إليها بعدَما نام بعلُها ،
وقد وَسَّدَتْه الكفَّ في ليلةِ الصَّرَدْ[3]

---

١ تنكل : تفتر وتبسم . الحرد : داء يأخذ الابل في ايديها فتسترخي .

٢ العصب : ضرب من برود اليمن الجند : مدينة باليمن بينها وبين صنعاء ثمانية واربعون فرسخاً .

٣ الصرد : البرد وقيل شدته . وقوله : وسدته : اي وسدت خدها .

أشارت بطرف العين أهلاً ومرحباً ،
ستُعطى الذي تهوى على رغم مَنْ حسدْ

ألستَ ترى مَنْ حولنا مِنْ عدوّنا ،
وكلّ غلام شامخ الأنفِ قد مَرَدْ[1] ؟

فقلت لها : إني امرؤ فاعلمنّه ،
إذا ما أخذتُ السيفَ لم أحفِل العَدَدْ

بَنى ليَ إسماعيلُ مجداً مُؤثّلا ،
وعبدُ كُلالٍ قبله ، وأبو جَمَدْ

تُطيف علينا قهوةٌ في زجاجةٍ ،
تُريكِ جبانَ القوم أمضى من الأسدْ

•

يأيها القلبُ ! بعضَ ما تجدُ
قد يعشَق القلبُ ثم يَتّئِدُ

قد يكتُم المرءُ حبّه حِقَباً ،
وهو عَميدٌ وقلبُه كَمِدُ

---

١ مرد : عتا .

مـاذا تُراعون من فتىً غَزِلٍ ،
قد تيّمتْه خَمْصانـةٌ رُؤُدُ[1]

يهـدّدوني كيما أخافَهـمُ ،
هيهاتَ أنّى يُهدَّد الأسدُ[2] !

•

صدَع البَيْنُ والتفرُّقُ قلبي ،
وتولّت أُمُّ البنين بِلُبّي

ثَوتِ النفسُ في الحمولِ لديهـا ،
وتولّى بالجسمِ منّيَ صَحْبي

ولقـد قلتُ والمدامعُ تَجري
بدموع ، كأنهـا فَيْضُ غَرْبِ

جزعـاً للفراقِ يوم تولّت :
حَسْبيَ اللهُ ذو المَعارجِ حسبي[3]

•

يابنةَ الواحد جودي ، فما
إن تَصْرِميني ، فَبِما ، أو لِما ؟

---

١ الرؤد : الشابة الحسنة .

٢ مر شرح هذه الأبيات .

٣ المعارج ، واحدها معرج ومعراج : السلم والمصعد .

جُودي علينا اليومَ ، أو بيِّني !
فِيمَ قتَلتِ الرجلَ المُسلِما ؟

إني وأيدي قُلُصٍ ضُمَّرٍ ،
وكلِّ خِرْق وَرَد المَوْسِما[1]

ما عُلِّق القلبُ كتعليقِها ،
واضعةً كفّاً ، علَتْ مِعْصما

رَبَّةُ محراب ، إذا جئتُها
لم ألقَها ، أو أرتقي سُلّما[2]

إخوتها أربعة ، كلُّهم
ينفون عنها الفارسَ المُعلَما

كيف أُرَجِّيها ، ومِنْ دونها
بوّابُ سوءٍ ، يُعجل المَشْتما

أسودُ هَتّاكٌ لأعراضِ مَنْ
مَرّ على الأبواب ، أو سَلّما

لا مِنّة ، أعْلمُ ، كانت لها
عندي ، ولا تطلُب فينا دما

---

١ القلص ، واحدتها قلوص : الناقة . الخرق : الفتى الحسن الكريم الخليقة
٢ المحراب : اراد به هنا البيت .

بـل هي لمّا أن رأت عـاشقاً
صبّاً ، رمتْه اليومَ فيمن رَمى

لمّا ارتمينـا ، ورأت أنهـا
قد أثبتتْ في قلبـه اسهُما[1]

أعجبهـا ذاكَ ، فأبْدت له
سُنّتَها البيضاءَ ، والمِعْصَما[2]

قامت تراءَى لي على قَصْرهـا ،
بين جَوارٍ خُرّدٍ كالدُّمى[3]

وتَعقِد المِرْط عـلى جَسرةٍ ،
مثلِ كَثيب الرملِ ، أو أعْظما[4]

•

دعـاكَ من شوقك الدّاعي ،
وأنت ، وضّاحُ ، ذو اتبـاعِ

---

١ ارتمينا : ترامينا .

٢ السنة : الوجه .

٣ الخرد : الابكار ، والحيات الطويلات السكوت .

٤ المرط : كساء من صوف أو خز أو كتان يؤتزر به . الجسرة : العجيزة

دعتْك مَيّالةٌ ، لَعوبٌ ،
أسيلة الخد ، باللّماعِ[1]

دلالُكِ الحُلْو والمشهّي ،
وليس سِرّيك بالمُضاعِ

لا أمنعُ النفسَ عن هواها ،
وكلُّ شيءٍ إلى انقطاعِ

•

ألا يا لَقومي أطْلِقوا غُلّ مرتَهَنْ ،
ومُنّوا على مُستشعِرِ الهمّ والحَزَنْ

تذكّرَ سَلمى ، وهي نازحةٌ فحنّ ،
وهل تنفعُ الذِكرى ، إذا اغترب الوطنْ؟

ألم ترَها صفراء ، رُؤداً شبابها ،
أسيلةَ مجرى الدمع ، كالشادن الأغنّ؟

وأبصرتُ سَلمى بين بُرْدَي مَراجِلٍ
وأبراد عَصْبٍ من مُهلهَلة اليمنْ[2]

---

١ اللماع : الاشارة باليد او بالثوب .

٢ المراجل : ضرب من برود اليمن عليه تصاوير .

فقلتُ لها : لا ترْتقي السطحَ ! إنني
أخاف عليكم كلَّ ذي لِمّة ، حَسَنْ

•

أغدوتَ أمْ في الرائحين تروحُ ،
أم أنت من ذِكر الحسان صحيحُ

إذ قالت الحسناءُ : ما لصديقنا
رثَّ الثياب ، وإنه لمليحُ

لا تسألِنّ عن الثيابِ ، فإنني
يومَ اللقاءِ على الكماةِ مُشيحُ

أرمي واطعنُ ثم أتبِع ضربةً
تَدَعُ النساءَ على الرجال تَنوحُ

•

قيس بن ذريح

نسبه – نسب امه ٧
قيس رضيع الحسين ٨
عشقه للبنى ٩
لجوءه الى الحسين ١٠
غيرة أمه من لبنى ١١
أبوه يغريه بطلاقها ١٢
يطلقها ويندم ١٣
استطير عقله – رحيل لبنى ١٤
غراب البين – منعه الالمام بها ١٦
يقبل اثر قدمها ١٧
يعتل على أبيه بالصيد ٢٢
المخزومي وشعر قيس ٢٤
يقرع نفسه ٢٥
شبه لبنى ٢٧
فتيات الحي ولبنى ٢٩
عواده في مرضه ٣١
ابو السائب وشعر قيس ٣٤
يتزوج ولا يسلو ٣٥
معاوية يهدر دمه ٤١
يصادفها في الحج ٤٤

لبنى تكذب مرضه ٤٧
قيس وزوج لبنى ٥١
مرضه بعد رؤية لبنى ٥٣
تلومه على زواجه بعدها ٥٤
لبنى وزوجها ٥٨
بريكة تتوسط له ٥٩
يزيد يحقن دمه ٦٤
ذهوله ٦٥
ابن جندب ينشد من شعره ٦٦
احر ما قال في لبنى ٦٧
ثعلب ينشد شعره ٦٨
ابو السائب وشعر قيس ٧٠
آخر امر قيس ولبنى ٧٦

وضاح اليمن

نسبه ولقبه	٨١
وضاح يتقنع	٨٣
احب ولم يتزوج	٨٤
عشقه لروضة الكندية	٨٥
ام البنين تهواه	٩٥
مدحه للوليد	٩٩
قتل الوليد له	١٠٢
شعره في مرض ام البنين	١٠٥
يشبب بفاطمة بنت عبد الملك	١٠٦
يفتي لنفسه	١٠٧
رثاؤه لأبيه وأخيه	١٠٨
شعره في حبابة	١١٣
من شعره في روضة	١١٥
ما غني به من شعره	١١٨

قطوف الاغانى

الكتب التي صدرت من هذه المجموعة

بشار بن برد

مجنون بني عامر (مجنون ليلى)

جرير

عمر بن أبي ربيعة

أبو العتاهية

الوليد بن يزيد

ليلى الاخيلية وتوبة — عائشة بنت طلحة — الحارث المخزومي

سلامة القس — جميلة المغنية — متيّم الهشامية

قيس بن ذريح — وضّاح اليمن